ساحر الموت

علي النوبي

مجموعة قصصية

فكر يصنع حضارة

ساحر الموت

الكتاب	ساحر الموت - مجموعة قصصية/ علي النوبي
المؤلف	النوبي، علي
النوع	قصص عربية قصيرة
تصميم الغلاف	جيهان متولي
إخراج داخلي	شيماء رضوان
الطبعة	الأولى/ القاهرة ٢٠١٢
عدد الصفحات	١٦٧ صفحة
المقاس	١٤×٢٠
تدمك	١- القصص العربية القصيرة

صرح للنشر والتوزيع

فكر يصنع حضارة

المدير العام: عبود مصطفى عبود

كورنيش المعادي، بجوار مستشفى السلام الدولي، أبراج المهندسين (أ)

برج (٢) الدور العاشر.

ت: (٢٥٢٤٠١٦٦)(٢+)

البريد الإليكتروني	darsarh@gmail.com
الموقع الإليكتروني	www.dar-sarh.com
رقم الإيداع	٢٠١٢/١٧٠٩٤
الترقيم الدولي	978-977-6382-75-6
	ديوي ٨١٣,٠١

حقوق النشر محفوظة للناشر

لا يجوز طبع أو نشر أو تصوير أو تخزين أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة إليكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك إلا بإذن كتابي صريح من الناشر

ساحر الموت

مجموعة قصصية

تأليف

علي النوبي

الثـــورة

والله مش عارف الافترا ده نهايته إيه.. ليه وصل بينا الحال للدرجة دي؟.. ليه؟.. ليه يا رب ظلم، وافترا، وفقر، وجوع؟.. رحمتك يااااارب... يتمتم أبو حسين بهذه الكلمات بعدما أحس بعجز شديد، فالمشكلة لا تستحق كل هذا..

الابن ملازم أول في جهاز أمن الدولة، والذي بمجرد أن سمع بمشكلة بسيطة بين أبيه وعمه بسبب الأرض...

ذهب إليهم بعربة شرطة، وأوقفها أمام الباب، وصرخ على عمه وابن عمه، خرجا مسرعَيْن إليه، وعلما أنهما حقًّا في مشكلة فابن عمه متدين جدًّا، ومعروف بهذا التدين، ملازم للمسجد بلحيته الخفيفة، وما إن رآهما حتى أسرع إلى ابن عمه، فقد كانا صديقَيْن عندما كانا صغيرين، والآن يمسكه وكأنه يمسك بمجرم إرهابي لا يعرفه، أمسك بتلابيبه، متحدثًا إلى عمه... كام مرة كانوا هيمسكوه.. كام مرة؟ لولاي أنا والوضع اللي أنا فيه، والله كان زمانه تحت الأرض، وأنتم عارفين...

يحاول عمه مقاطعته.. يصرخ، ما حدش يتكلم إلا لما أخلص كلامي، يسكت الجميع، يرتفع صوت أبيه فجأة متحديًّا الصمت.. كفاية يا ولدي حرام عليك عمك وابن عمك ما تعملش كده فيهم، يردد العم والله يا ولدي توقعت منك أكتر من كده...

حازم: هتشوف مني كتير أنت وولدك، ووالله لو ما خرصتو والله العظيم جوابات الاعتقال تلقاها عندكم بكره..

العم: عادي.. أنت خلاص رضعت الظلم زي غيرك وأنت طالما دخلت المغارة دي اللي احنا مش عارفين جواها إيه وبتطلعوا لنا منها زي الكلاب السعرانة أتوقع منك أكتر من كده..

حازم: إحنا كلاب، والله وأنت عارف إني أد كلمتي.. هخليك تندم على الكلام اللي أنت تطاولت بيه على أحسن جهاز في البلد.. الجهاز اللي أنت وأمثالك بتنام في بيتك وهم سهرانين.. هتتحاسب على الكلام ده لأنك تطاولت على الدولة كلها.

العم: خلاص إنتو الدولة... وكل واحد فيكم بيتكلم باسم مصر، حتى لو عسكري في أمن الدولة يقدر يعمل اللي هو عاوزه..

حازم: ماشي، هتشوف أنا هعمل إيه.

***

يذهب العم مسرعًا إلى أحد أصدقائة ويحكي له عمّا دار بينه وبين ابن أخيه، وتهديده له فيخبره صديقه بألَّا يقلق وأن موضوعه محلول..

يتعجب من ثقة صديقه لأنه يعرف أن أمن الدولة لا يستطيع كائن من كان أن يقترب منهم، لاحظ صديقه حيرته فقال اطمئن.. موضوعك عندي، والنهارده بعد صلاة العشاء هقولك نعمل إيه ينطلق أبو عمر إلى داره، وما زال القلق يسيطر عليه رغم كل التطمينات التي تلقّاها من صديقه القديم والذي يعرف مدى صدقه وعلاقاته الواسعة والمهمة.. يعود أبو عمر إلى داره وقد وجد في البيت مناحة نصبتها زوجته وعمر يهدِّئ من روعها ويطمئنها قائلًا: لن يصيبنا إلَّا ما كتب الله لنا، وعاد أبي أحمد يبشر بأن الموضوع قد انتهى، ولكنَّ الأم ما زالت في خوفها من إجرام حازم الذي يعرفه الجميع.. فمنذ أن دخل جهاز أمن الدولة تغير تمامًا وتحول إلى إنسان مليء بالنذالة الرخيصة مع أي أحد في البلدة التي يعرف بعضها بعضًا، حازم تسبب في إحراجات كثيرة لوالده ولإخوانه فمعظم المعتقلين من بلدتهم والقرى التي حولها بسببه، تحول إلى بعبع للجميع، حتى أن بعض الآباء كانوا يمنعون أبناءهم من صلاة الفجر في المسجد القريب من منزل حازم.. والذي يجدونه جالسًا على ديوان أمام المنزل ليرى من يصلي الفجر ويلتزم من الشباب.. صار الجميع يكرهونه، ويكرهون أيام إجازته التي يقضيها في البلدة.. ويحذرون منه من لا يعرف نذالته...

قال له والده: والله يا ولدي ندمت فعلًا إني دخلتك كلية الشرطة.. فعلًا ندمت والظاهر إن نهايتك قرّبت.

***

اللواء سيد عامر.. أنا سمعت عنه كتير.. لكن مش عارفه شخصيًّا.. لكن الحمد لله أنا بعرفه شخصيًّا وما شفت حد في أخلاقه، لواء.. ورغم كده متواضع مع الجميع، تصدق يا أبو عمر لما كنت أروح له البيت والله كان يقطّع لي البرتقال والتفاح بيده.

أبوعمر: مش بيقطعوه من جوا البيت..

: لا... هو بيقطعه بنفسه واللي فهمته بعد كده إنه عشان محدش يقول عليه متكبر..

أبو عمر: الله يطمنك بالخير...

: نصف ساعة نكونوا عنده في البيت ومع حظك إنه النهارده موجود هنا. وصل من القاهرة بعد صلاة الظهر.

أبوعمر: الحمد لله...

***

معقولة.. يا حاج في ظرف (٧٢) ساعة ينقله.. طبعًا.. ده لواء..

لواء.. مش لعبة وراجل بيخاف ربنا.. مرة سألته: يا سيادة اللواء:

لو ملازم.. الإنسان مننا مش بيقدر يتكلم معاه فما بالك برتبة لواء..

: تعرف قال لي إيه يا أبو عمر

أبو عمر: إيه؟

: قال لي الإنسان مش متحمل رصاصة هيتكبر على إيه.. الكبرياء لله.. ومن تواضع لله رفعه.

أبوعمر: عمومًا يا صديقي وأخي.. بارك الله فيك إنك عرفتنا على اللواء سيد عامر والرجل بيقول لو فيه مشكلة كلموني في أي وقت.. أي وقت..

: عشان تعرف إن أمة سيدنا محمد بخير.

: الحمد لله.. الحمد لله.. الولد كان هيتهان وأنت عارف إنه من الشباب الطيب اللي مش بيعرف يلف ويدور، ويقدر يطلع من الحوارات الوسخة دي..

: عارف والله ومن طيبته إن اللواء سيد موجود في بيته النهارده، يعني ربنا ستر علينا ومشي الحال..

أبو عمر: تصدق إني خايف إن أخويا يزعل..

: من إيه؟

أبوعمر: من نقل ابنه..

: سبحان الله، نقل ابنه، ولا سجن ابنك؟!

أبو عمر «يصمت»: معاك حق.. سبحان الله هو جهاز أمن الدولة اللي خلَّى الناس كرهت بعض وبتخاف من بعض، وخصوصًا لما واحد نفسيته مريضة وياخد وضعه..

وهي دي أساس المصايب..

: صحيح.. وناس كتير بتدعي عليهم ناس كتير اتظلمت، والله يا أبو عمر أنا حاسس ان نهايتهم قريبة.. لأن ظلمهم زاد وعم.. ودايمًا الظلم ربنا بيرفعه.. وياخد الظالم ومش هيفلت من ربنا لو أخده.. سبحانه وتعالى ربنا يسمع منك ونستريح منهم يا اارب..

يتجه أبو عمر إلى منزل أخيه معتذرًا له.. يفاجأ بأن أخاه فرح كثيرًا بنقل ولده،لأنه سبّب له كثيرًا من الحرج مع من حوله.. حتى أم حازم لم يظهر عليها الحزن لنقل ابنها إلى هذا المكان البعيد، حتي أنها قالت: جنى على نفسه وهنا يتدخل حازم: تصدق يا أبوعمر إن حازم قبل نقله، كان بيحكي إن فيه قلق في البلد، وأنت عارف إن كلامهم بيكون صح في أحيان كثيرة.. يبدو القلق على أبو عمر:

إزاي؟ إيه اللي فهمته منه؟

مافهمتش حاجه.

أبو عمر لكن أنا حاسس إن مسئولين كبار متفائلين بالسنة دي ٢٠١١ وأنت شفت الصحافة والإذاعه والتلفزيون..

أبو حازم: والله شكلها سنة سعيدة..

أبو عمر لا متراجعًا: لكن ممكن تكون الإذاعه والتلفيزيون والصحافة بيضحكوا على الناس على الشعب الغلبان.. وأنت شفت اللي حصل في انتخابات مجلس الشعب الأخيرة تزوير عيني عينك، وكأن البلد مفهاش ناس أو الناس بقيت شوية غنم يوجهوها زي ما هم عاوزين.

أبو حازم: والله كلام مظبوط... و...

أبو عمر « مقاطعًا »: الناس مشحونة يا أبو حازم الناس هتنفجر.. من اللي حاصل في البلد.

يلا بينا نقعد شوية عند قهوة الحج سيد..

أبو حازم: رغم إني تعبان شوية.. لكن عاوز أشرب لي حجر معسل.

وعند اقترابهما من المقهى، يلاحظان أن الزحمة غير عادية، والحاج سيد ينادي على الواقفين بالجلوس، يدير الريموت كنترول متنقلًا بسرعه بين القنوات، الوضع غريب، الكل مذهولين مما يروا..

الحاج سيد « ساخرًا » يوم الغضب، إحنا كل أيامنا غضب في غضب..

تفضلوا يا أبو عمر يا أبوحازم.. خليكم عندي هنا.. لحظات تمر..

أبو حازم: شفت يا أبوعمر، الظاهر إن كلام حازم صح..

أبو عمر: الظاهر..

الحاج سيد متلصصًا: أمن الدولة لازم كلامهم يبقى صح..

أبو حازم « مبتسمًا » وأنت عارف إيه الموضوع اللي إحنا بنتكلم عليه..

الحاج سيد: أي شيء بيقولوه بيكونوا متأكدين منه.. أي شيء..

أبو حازم: أي شيء.. أي شيء ؟!!

أبو عمر « ضاحكًا » مش للدرجة يا حاج سيد..

الحاج سيد: للدرجة دي وأكتر..

يضحكون.. بيقولوا على النهارده يوم الغضب..

أبو عمر: يوم الغضب ؟!.. ربنا يسمع منك..

الحاج سيد: والله بجد مش هزار..

أبو حازم « متجهمًا » ربنا يستر..

أبو عمر: جايز تبقى بركة ٢٠١١ – ويكون فعلًا سنة خير.. على كل مصر..

إبراهيم: الناس دي كلها في الميدان إزاي هيبقي خير يا أبو عمر..

أبوعمر: ما تضمنش يا أبو خليل إحنا مش عارفين خيرنا وين..

إبراهيم: والله لو الميدان قريب لاروح معاهم واتظاهر.. على اللي أنا فيه.. من يومين طلعت الولد من المدرسة عشان يشتغل معايا وعشان مش قادر على مصاريف المدرسة..

أبو عمر: والله حرام عليك إزاي تطلعه؟!

إبراهيم: مفيش معايا فلوس.. هعمل إيه؟!

حسان: الفقر ملازم لكم.. البلد هتعمل لكم إيه..

أبو عمر: ربنا يوفقهم..

حسان: والله بكرة الصبح كل دول هتلاقيهم في أمن الدولة..

أبو عمر: الجبن هو اللي مرجعنا ورا..

إبراهيم: والله صحيح..

حسان: روحوا تظاهرو معاهم..

إبراهيم: والله لو في معايا ثمن التذكرة.. الصبح تلاقيني هناك..

حسان: كلمة هقولها لكم.. حبيب العادلي أكفر من أبو جهل.. مش هيسيبهم..

الحاج سيد: كلهم تعليم عالي ومثقفين ومرتاحين ماديًّا شباب كبار، فاهمين كل اللي حاصل وشايفين مفيش حد قادر يتكلم.. ربنا يحميهم..

حسان « مستفزًا » واللي تظاهر قبلهم عمل إيه؟

أبو عمر: إن شاء الله هيعملوا كتير.. إن شاء الله..

« الحاج سيد » يرفع صوت التلفزيون متسائلًا:

إيه يعني فيس بوك وتويتر؟!

« يضحك أحد الجالسين بشدة »

والله سبحان الله إنتو عايشين فين؟!!! ودي الناس طلعت القمر ورجعت تاني هأهأهأ وبيفكروا يطلعوا الشمس وإنتو لسه بتسألوا عن فيس بوك وتويتر..

الحاج سيد متضايقًا « خلاص يا أستاذ طالما إنت فاهم للدرجة دي اشرح للناس خليهم يعرفوا.. ومنك نستفيد.. هنا يبدأ سمير في الشرح: الفيس بوك والتويتر زي الياهوكده..

الدخان يخرج من أنف سيد وفمه: هو إحنا فهمنا الفيس بوك والتويتر عشان نفهم الياهو..

هأ هأ هأ..

سمير: صراحة اللي أعرفه إنها مواقع تواصل اجتماعي.. مشهورة بكده.. يضحك حسان.. أفادك الله يا أستاذ تعلمنا منك كتير..

الحاج سيد: لحظة لو سمحتم.. خلينا نسمع..

حسان: قناة الجزيرة مش بتجيب إلا المشاكل..

الحاج سيد: أحسن من تلفزيون بلدك اللي لغاية دلوقتي من الصبح ما تقلش حاجة صحيحة من ميدان التحرير.. وخلونا نسمع.. مراسل الجزيرة سمير عمر من القاهرة: صبر الشرطة نفد وبدأ رجالها بتفريق المتظاهرين برشاشات المياه وإطلاق القنابل المسيلة للدموع، آلاف المتظاهرين من منطقه شبرا يتجهون للتحرير، وانضم إليهم متظاهرون كانوا في الشوارع الخلفية، طاقم الجزيرة احتجزتهم الشرطة وتحفظت على ما لديهم من صور ومواد فيلمية سجلت الاشتباكات بين المتظاهرين ورجال الشرطة..

« يصرخ حسان »:

ليه الجزيرة أبدًا ما جابت حاجة في قطر ولا أصحاب قطر.. والنملة تبقى فيل والجمل يبقى شعرة.. ليه؟

الحاج سيد: لكن لما ينقلوا حاجة من برا قطر بيكونوا صح.. شوف المراسل بيقول إيه الشعارات تطالب بالعدالة الاجتماعية ورفع الأجور

والقضاء على الفساد وتطالب الحكومة المصرية بالرحيل هتافات معادية للنظام..

إبراهيم: والله العظيم رجالة، خلاص الخوف انتهى طالما الشباب طلع للشارع وبيهتف هتافات معادية للنظام.. يا سلام والله حتى لو ما عملوش حاجة برضو رجالة كفاية إنهم قدروا يتخلصوا من الخوف اللي عشش في عقولنا وقلوبنا..

حسان: بالله يا حاج سيد تشوف أي قناة تاني..

الحاج سيد: لحظة..

مراسل الجزيرة: ثلاثة قتلى من المتظاهرين إضافة إلى جندي من الشرطة وعشرات المصابين ومئات المعتقلين..

أبو عمر: والله والله طالما فيه شهداء مش هتتلم وربنا يستر على الأولاد..

الحاج سيد: والله ولاد الناس عندهم زي الصراصير ما ليهم قيمة ربنا يبتليهم في أولادهم..

إبراهيم:نفسي في يوم أشوف حد فيهم مرمي في الأرض زي الكلب مذلول وخصوصًا أحمد عز..

ناجح: اسكت الحيطان لها ودان خلي بالك البلد اليومين دول في قلق وأمن الدولة شغال بذمة خلوا بالكم كلابهم كتير..

يصرخ الحاج سيد، هانت قريب هنشوف فيهم ولو كان حد هنا من أمن الدوله يوريني نفسه والله لحط دماغه فوق البوتجاز وأشوف مين هيشهد علي وأنا اعتبروني سيد الثورجي..

يضحك الجميع ويصفقون له.

***

الجميع في مقهى الحاج سيد يتابعون ما يحدث في الميدان بقلق واضح وترقب متفاءل لعلها تكون نهاية الظلم والمعاناة التي يعيشها المواطن المصري المطحون ولكن هل يعقل أن يحدث ما نتمناه على يد هؤلاء الشباب صعب إن لم يكن مستحيلًا..

«اليوم الثاني»:

استمرار الثورة في ميدان التحرير رغم تحذيرات الداخلية وارتفاع عدد الضحايا إلى سبعة وقوات الأمن تستخدم القنابل المسيلة للدموع.. المظاهرات تزداد في السويس.

الحاج سيد بفخر « السويس دول رجالة من زمان مش دلوقتي.. طول عمرهم رجالة »..

إبراهيم: والله معايا جماعة قرايبنا في السويس ما شاء الله كلهم جماعات إسلامية..

الحاج سيد: السوايسة متدينين وميحبوش الحال المايل..

الحاج سيد: الظاهر أن البلاد كلها هتبقى فيها مظاهرات..

إبراهيم « بضجر »: وشوف الحكومة ولاد الكلب برضو مطنشين الناس اللي مرمية في الميدان..

الحاج سيد متفائلًا: بكرة غصب عنهم وبالجزمة هينفذوا طلبات الناس اللي عاوزة تضحي بروحها.. ولا يهمها..

***

حنا: مين وائل غنيم؟

سمير: أوووووه.. وائل غنيم.. معقولة يا عم حنا متعرفش وائل غنيم..

حنا: لا يا ولدي.. مش واخد بالي..

سمير: وائل غنيم يا عم حنا هو من أهم الأسباب اللي جمعت الشباب اللي أنت شايفه في ميدان التحرير..

حنا: معقول يا سمير؟

الحاج سيد: ليه هو عمل إيه؟

سمير: أقولكم عمل إيه..

حنا: اتفضل..

سمير: شفت الشاب الصغير الجميل اللي جهاز أمن الدولة خلصوا عليه، وبعد كده رموه في الشارع بعد ما شوهوه، واسمه خالد سعيد؟

حنا: سمعت عنه..

سمير: الشهيد خالد سعيد رحمة الله عليه..

قام عمنا وائل غنيم وعمل له موقع باسم « كلنا خالد سعيد » ونشر فيه صورة الشهيد قبل وبعد الشهادة..

الحاج سيد: ممتاز.. والله ممتاز..

سمير: الناس شافت الشهيد واتجننت على أمن الدولة.. وبقى الموقع مزار للجميع..

كامل: والله زعيم وثوري يا وائل غنيم..

حنا: ربنا يستر علينا وعليه، دلوقتي مفيش حد عارفه فين..

الحاج سيد: هيطلع من أي مكان هو فيه.. غصب عن اللي ما يرضاش..

***

النهارده اليوم الرابع البلد ولعت بعد صلاة الجمعة؛ القاهرة، الإسكندرية، السويس، المنصورة، الإسماعيلية، دمياط، المنيا، الشرقية، بورسعيد، شمال سيناء.

الحاج سيد: افرح يا أحمد يا عز، الظاهر نهايتك خلاص.. يا اااارب..

كامل: هتافات بسقوط حسني مبارك..

إبراهيم: كفاية.. شبع حسني واللي معاه، مصوا دمنا، إيه فيه تاني..

الحاج سيد: ويا ريت عاوز يقتنع، ده عاوز يورثنا لجمال..

سعيد: جمال العبيط؟

كامل: والله أنت منافق..

سعيد: وليه.. الغلط ده؟

كامل: لأنك أنت حكيت لي إنك بصفحتك على فيس بوك كنت من أنصار جمال مبارك ضد البرادعي..

سعيد: والله مش نفاق..

كامل: تسميه إيه؟

سعيد: صراحة أنا مش بحب البرادعي..

كامل: ليه.. والبرادعي من أهم أسباب التظاهرات اللي أنت شايفها دلوقتي..

سعيد: إزاي؟

كامل: هو أول واحد قدر يوجه كلام لحسني مبارك صراحة، من غير لف أو دوران..

وطالب بانتخابات رئاسية وبرلمانية نزيهة.

سعيد: ماشي لكن كان هيخلي مين وزراء له أكيد هيخلي ناس جعانة ولسة ما شبعتش..

كامل: والحرامي الكبير اللي أنت كنت عاوزه يبقى رئيس، مش كان مخلي أحمد عز يتحكم في (٨٥) مليون إلا ألف.. وخلَّى كل اللي حواليه حرامية والرسول الكريم بيقول: « اثنان لا يشبعان طالب علم وطالب مال »..

يعني الناس اللي مع الريس الجديد بتاعك كلاب سعرانة..

سعيد: واللي مع البرادعي؟

كامل: صدقني هيحاولوا يبقوا شرفا.. قدر الإمكان عشان هتبقى فيه انتخابات حرة ونزيهة، لكن مع جمال نظام أبوه وكلاب أبوه كلهم معاه

ومفيش جديد ونعيش طول زماننا عبيد لفخامة الرئيس واللي انولد جرو هيموت كلب ابن كلب..

سعيد: تصدق يا كامل كلامك مقنع لكن أبدا تفكيري مجاش بالطريقة دي..

كامل: أمال جه إزاي؟

سعيد: أنا قلت لنفسي طبعًا جمال يشبه بشار الأسد، قصدي راجل مدني مش عسكري، وأنا شفت السوريين بيحبوا بشار الأسد..

كامل: غصب عنهم.. مش بإرادتهم..

سعيد: معقولة؟

كامل: طبعًا..

سعيد: اللي يعيش ياما يشوف.

***

«اليوم الخامس»:

قوات الجيش المصري تبدأ في الظهور وإعلان حظر التجوال في القاهرة والإسكندرية والسويس.. والشعب يتحدى.. المدرعات نزلت الشوارع لمساندة قوات الشرطة والمتظاهرون يتصدون لإنقاذ المتحف

المصري ويستنجدون بقوات الجيش..

الحاج سيد: أهلا يا حكومة، أهلا بقيتو لايصين وغرقتوا في شبر ميه مش عارف لو قام عليكم الشعب كله هتعملوا إيه يا حرامية؟

إبراهيم: هأهأهأ.. نشغلوهم معانا في تحميل القصب بالسكة الحديد..

يضحكون...

أبو عمر: مينفعوش.. دول تعودوا على العز وإذلال البشر..

إبراهيم: مش براحتهم.. هم هيتمنوا أشغلهم ولا إن الشعب يضرب فيهم بالجزمة..

الحاج سيد: كلامك صح..

إبراهيم: يصحى معايا أحمد عز الساعة أربعة قبل الفجر في الشتا.. وأخليه يطلع السلم وهو بيحمل القصب فوق كتفه..

يا اااه.. إمتى يحصل ده.. إمتى؟

حسان: متتفائلوش للدرجة دي..

« يصرخ الحاج سيد » شفت الكفرة عملوا إيه.. شفت.. والله شغل كفر..

سيارة تحمل لوحات معدنية لهيئة دبلوماسية تدهس العشرات من المتظاهرين وعشرات الجرحى..

كامل: لو مسكوها.. والله يقتلوا اللي فيها..

أبو حازم: ناس كتير ماتت النهارده ربنا يرحمهم.. مساكين، صغيرين.

***

الريس اتكلم في التلفزيون..

هكذا قال الحاج سيد..

أبو عمر: لسه مفتكر يتكلم والناس لها اليوم الخامس النهارده في الشارع..

الحاج سيد: دا غيّر الحكومة وعيّن نائب..

أبو حازم: كان من الأول مش بعد ما خربت مالطة، ده اسمه ضحك على الدقون، والشعب مفتح مش أهبل..

سمير: مع العبط بتاعهم افتكروا إن اللي في الميدان بعد ثلاث أو أربع أيام هيملوا ويسيبوا الميدان..

كامل: صحيح.. هي فكرتهم دي عن الشعب الصبور.. والله أنا حاسس إن ربنا بيرتب لهم حاجه هو أعلم بيها.

الحاج سيد: والناس شغالة تدمر في « حزب العزبة »..

إبراهيم: الطبال قدم استقالته.. بعد ما كان بيحكم في المستعمرة..

كامل: عشان لما أقولك أن جمال لو بقي ريس هيستعبدنا هو والطبَّالين والرقاصين اللي خلاهم معاه..

سعيد: فعلًا البرادعي أحسن منهم ألف مرة، وبرضو نقول مصر فيها كفاءات كتير..

كامل: مصر ولَّادة..

***

« دخلنا اليوم السادس »:

الحاج سيد: الشعب كله تحرك، كدا مفيش رجوع للبيوت.. خلاص..

أبوعمر: والله العظيم رجالة..

أبو حازم : وتعرف مين الرجالة كمان.. الجيش..

الحاج سيد: فعلًا والله الجيش بتاعنا غير أي جيش في العالم محايدين قوي..

أبو حازم: جيشنا عارف أن الشعب مظلوم..

وإن الناس نزلت الميدان عشان يموتوا وهم فرحانين مش هيهمهم شيء..

الحاج سيد: مسكوا أكتر من (٣٠٠٠) خارج على القانون وقدموهم للمحاكمة العسكرية وربنا يعينهم على هروب السجناء..

***

الحاج سيد « فرحًا »: أنا قلت مستحيل يرجعوا البيوت الأسد خرج من عرينه، خلاص..

أبو عمر: الرجالة عاوزين مسيرة مليونية يوم الثلاثاء للمطالبة بتنحي حسني مبارك..

الحاج سيد: الشعب كله هيطلع معاهم..

***

الحاج سيد: عاوزين يقسموا الشعب..

كامل: مستحيل أي خطاب لأي حد يؤثر في الشعب..

الحاج سيد: ربنا كبير.. ربنا قادر..

***

الحاج سيد: لما الأمور خرجت من يدهم سلطوا البلطجية وطبعًا ساعدتهم قوات الأمن..

إبراهيم: معقولة دي، جمال وبغال وخيول وسيوف وعصي وحجارة وسياط.. معقولة دي..

كامل: هم بتوع الحزب الوطني لما لقيو البلد خلاص هتتحرر من الاستعمار..

الحاج سيد: الحمد الله إن الجيش موجود في الميدان..

سعيد: وبرضو الإخوان المسلمين لهم دور في صد الكلاب دي..

الحاج سيد: طبعًا.. الإخوان كلهم ناس كبار وشبابهم متعلم إزاي يدافع عن نفسه شبابهم محترمين. وهم محترمين نفسهم..

أبو عمر: والله صحيح..

***

سمير: عملوا معاه لقاء في قناه « إيه بي سي » الأمريكية وبيقول إنه عاوز يستقيل لكن خايف من الفوضى..

الحاج سيد: النهارده اليوم العاشر.. الفوضى هتستمر طالما هو معاند بالشكل ده..

أبو عمر: إنتو مش ملاحظين إن احنا بقينا بنفهم في السياسة..

الحاج سيد: كل الناس بتفهم في السياسة لكن مكنش مسموح لحد يفتح فمه، والناس مليانة غلب وظلم وجوع وفقر، الناس تعبت، ويا ريت سايبنهم في حالهم إنتو عارفين محمد أبو السيد « ينظرون »: طبعًا..

الحاج سيد: لما جت سوزان في البلد كانوا بيجهزوا لها البيوت اللي في طريقها بحيث تبقى كلها بلون واحد اللون الأصفر، ومن حظ محمد أبو السيد إنه قبل ما توصل عدا بحماره في الطريق اللي هتعدي فيه الست، ومن حظه الطين إن شافه واحد من السادة المسؤلين وهو بيرفع الروث اللي عملوا حماره تصدقوا دفع كام جنيه؟

أبو عمر: سبعين جنيه..

الحاج سيد: صحيح.. سبعين جنية غرامة عشان حماره روّث في الطريق اللي هتعدي فيه الست الهانم..

إبراهيم: لكل ظالم نهاية.. لازم..

الحاج سيد: إن شاء الله..

أبو عمر: شعب نزيه قوي.. وبرضو ساخر..

كامل: فهمتك يا أبوعمر.. أنت على التعليقات اللي على اللافتات في

ميدان التحرير؟

أبوعمر: صح..

يضحك كامل: دي نكت يا أبو عمر شوف كدا:

عاوز أحلق.....

عاوز أتجوز.....

لسه بتجوز.....

ثلجنا.....

وغير وغير وهو مش حاسس..

أبوعمر: مش حاسس والله..

الحاج سيد: الحرامية ابتدوا يقعوا واحد ورا التاني..

أبوعمر: أنا والله مبسوط في حبيب العادلي وعز والمغربي وجرانة، كلهم ممنوعين من السفر شفتوا مالك الملك بيعمل إيه..

الحاج سيد: ولسه هنشوف..

***

الجمعة دي بيسموها " جمعه الرحيل ".

الحاج سيد: طبعًا الثوار..

كامل: طبعًا.. لأن أحباب الريس وأنصاره بيسموها جمعة الاستقرار أو جمعة الوفاء..

أبو حازم: والله ناس ما بتنكسف..

الحاج سيد: براحتهم.. أمر الله نافذ..

كامل: هأهأهأهأ.. منع رشيد محمد رشيد من السفر لخارج مصر..

الحاج سيد سبحانك يا عزيز..

***

يا رب أنت الذي تعز من تشاء وتذل من تشاء حبيب العادلي تحت الإقامة الجبرية ومعاه ثلاثة من قياداته.. يا رجالة الميدان والله أنتم بتكتبوا تاريخ جديد.. الظالم.. راح.. راح وإن شاء الله ياخد جزاءه، حق كل لحظة ظلم لإنسان جنى عليه هو وكلابه..

أبو حازم: إن شاء الله يا حاج سيد عمل كتير وتسلط كتير، وظلم كتير..

كامل: هيتحاكم، هيتحاكم.. ربنا موجود وكبير واهو جمال وصفوت الشريف رموهم زي الجرب بعيد عن " حزب العزبة الظالم " وعينوا حسام بدراوي أمينًا عامًا..

سمير: والله خسارة الدكتور بدراوي يدمر نفسه..

كامل: صحيح.. لكن كل واحد له وجهة نظر والراجل عاقل ونظيف..

سمير: هو الحزب ده لازم يتمسح من الوجود لازم..

الحاج سيد: والله معاك حق..

***

الحاج سيد: زي ما بيقوله حسني، ارفض يرفض..

حنا: رأيك إنه مش عمر سليمان هو اللي رفض إن الرئيس يفوضه بمهامه..

كامل: لا طبعًا، حسني مبارك هو اللي رفض يفوضه أو الست هانم أو فخامة الشبل الرئيس..

سمير: الملك صعب حد يتنازل عنه بالبساطة دي..

إبراهيم: ليه وهو ملك؟!

كامل « يضحك »: لا يا سيدي.. ده أكتر من ملك مش كان عاوز يورثها لجمال..

الحاج سيد: والحمد الله ربنا رفع البلاء عنا خلاص مفيش توريث..

كامل: إن شاء الله..

***

الحمد لله.. الحمد لله..

أبو عمر: خير خير!!!

سمير: أفرجوا عن وائل غنيم وجماعة تاني معاه..

الحاج سيد: الحكومة بتحاول ترضي الشعب ووائل غنيم من أشجع الشباب والحكومة خايفة منه ومن الشرفاء أمثاله..

إبراهيم: برضو الشباب مش هيسيبوهم وراهم وراهم، لما يدفع حسني مبارك وعصابته ثمن الذل والفقر اللي عملوه فينا، وثمن إني خلوني طلعت ابني من المدرسة وموتوا الحاج محمد بالسرطان وأصابوا حماده وأمه بالفشل الكلوي وأمراض الكبد كام واحد عندنا في البلد اتصاب بيه.. والله لو أنا قاضي لأعدم اللي تسبب في الكلام ده.. والله لأعدمه.. والله..

الحاج سيد: " إن ربك لبالمرصاد ".

***

ميدان التحرير يستقبل الناشط وائل غنيم.. بيقول لن نتنازل عن

مطلبنا في زوال النظام ولن نستسلم..

الحاج سيد: والله راجل جدع يا وائل..

كامل: اللي شالوا ذنب مصر.. دبحوها، وفرجوا الناس عليها وهم بيرقصوا على جثة أم الدنيا.. مصر..

الحاج سيد: نهايتهم خلاص.. ربنا هو اللي جمع الناس دي لسبب هو بس سبحانه وتعالى يعلمه.. سبحانه أنا مستبشر خير والله.

***

سمير: يوم فعلًا تاريخي، تاريخي والله..

سعيد: أنا فعلًا كنت مؤيد ومتعاطف مع حسني مبارك لكن بعد اللي سمعته وشفته عن ثروته وعائلته والطواغيت اللي حوله والله كرهته، فعلًا كرهته.. كان في بالي إنه أحسن من غيره، لكن الحمد الله ظهر فساده وفساد اللي حوله كفاية ثلاثين سنة..كفاية زادت..

***

" إعادة بث قناة الجزيرة على النايل سات "

حنا: الحمد الله يا حاج سيد هنسمع إيه غير الجزيرة النصب في القنوات الباقية كتير..

كامل: وهي الجزيرة مش بتنصب؟!

سعيد: أهم شيء الخبر يكون بعيد عن دولتهم عن قطر..

ينادي الحاج سيد على الجميع بالصمت خلينا نسمع أول بيان للقوات المسلحة..

أبو حازم: خلاص الجيش مسك البلد.. وحسني مبارك مشي في الجلسة.. كدا أكيد خلاص..

الجميع: الحمد الله، نشكرك يا اااا رب.

***

" النهارده الجمعة.. شايفين الناس بتقول إيه "

أبو عمر: معاهم حق (١٨) يوم في الشارع وملايين مش ألف ولا ألفين..

كامل: شوفوا رافعين الأحذية إزاي في اتجاه الشاشة اللي كانت بتنقل خطاب مبارك..

الحاج سيد: والله اللي يغيظ فعلًا كلام عمر سليمان وهو بيقول للشعب للملايين في الميدان، ارجعوا بيوتكم.. بالبساطة دي الناس ترجع بيوتها..

سمير: الدكتور البرادعي يدعو الجيش للتدخل وإنقاذ البلاد بعد

رفض مبارك التخلي عن السلطة..

أبو عمر: الوقت مش عاوز يعدي النهارده يصرخ الجميع في صوت واحد: لحظة نسمع عمرو سليمان بيقول إيه الجميع ينتبه..

الجميع يصرخون فرحين، الله اكبر، الله أكبر راح الظلم، هم وانزاح من على صدورنا أخيرًا.. سابنا حسني مبارك.. والله كان كابوس، كابوس تقيل..

كامل: الجيش هو الدرع، هو اللي حمي الثورة لولاه لما وصلت للدرجة دي..

حنا: طبعا جيشنا إحنا غير أي جيش في العالم..

أبو عمر: الرسول الكريم أوصى بأنه في حالة دخول مصر يأخذوا منها جيش كثيف لأنهم خير أجناد الأرض..

الحاج سيد: شوفوا اللواء/ محسن الفنجري وهو بيعظم سلام لشهداء ثورة ٢٥ يناير..

عظيمة يا مصر.. الآن نستطيع نشم الحرية..

***

فجر الأربعاء ١٣/ ٤/ ٢٠١١ النائب العام المستشار الدكتور

عبد المجيد محمود يقرر حبس الرئيس السابق حسني ونجليه احتياطيًّا لمدة (١٥) يومًا على ذمة التحقيقات وتم تسليم قرارات الحبس إلى الجهات المختصة..

الآن عرفت نهاية الظلم والافتراء، لك الحمد يا اااا رب..

" قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير ".

***

(١)

نصيحة الحكيم

في مجتمع من المجتمعات الصغيرة المنغلقة على نفسها لها طبيعتها المميزة في كل مكان، فهي تحتفظ بعبق الماضي البعيد، الوجوه متعارفة، الأسماء عليها لا يختلفون، صفاتهم توارثوها من سنين طويلة، عاداتهم لم تتغير، صفاؤهم يرتبط بحياتهم، ومشاكلهم محلولة بينهم، يجتمعون عليها ولا بد لها من حل وإلا.. فالحكيم لها، لم تستعص عليه مشكلة من قبل، الصلاة والتقوى من أهم سماته.. وكم من مشكلة نهايتها الطلاق أو المقاطعة وقد تصل إلى الثأر وكان لها بالمرصاد، سمعته من ذهب كما يقولون..

تعدى الأربعين بقليل، عقله يزيد عن عشرة من الحكماء مجتمعين، هكذا اقتنعوا..

رجل تزوجها عن قصة عشق كنا نرويها لأبناء المدينة فمنها يعجبون، ويحسدوننا على ما نحن فيه..

فجأة - ودون مقدمات - صارت تثور عليه لأتفه الأسباب وهو كالحمل الوديع، اعتادته هكذا، ولم يخِب ظنها ولكن الظاهر أنها سئمت حياتها هذه، والكثيرات من بنات حواء يتمنين زوجًا كهذا يعشقها إلى حد الجنون، والعشق ذل في بعض الأحيان، شكا لكاتم أسرار البلدة..

طلب رؤيتها فذهبا إليه مختفيَيْن كي لا يعرف أن هناك مشكلة بينهما كما أنهما قد ضمِنا لها حلًّا..

إصرارها غريب على الطلاق لم تتنازل ولو لبرهة واحدة عن فكرته..

في المرة الثانية ذهب الحكيم بنفسه إليهم، فرأت أنه لا بد من الصراحة.. شاب تعلق قلبها به، وبادلها الشعور.. فذهب الحكيم إلى أهله محاولًا ردعه عن طريقها إلا أنهم صدوه بل عابوا عليه تصرفه هذا إذ كيف له أن يلوم الشاب الطائش ويدع تلك المرأة المتزوجة التي لا تخاف على سمعة هذا الخروف؟! عاتب الحكيم نفسه أيضًا إلا أنه أصر على مقابلته..

أما هي فسيتولى أمرها.. الزوج مذهول لما يدور حوله كأنه كابوس أطبق على أنفه، وقطع لسانه، وكتم فاه.. وما زال مطيعًا لقلبه متفانيًا في عودتها، وأهل الشاب يبصقون كلما مر من أمامهم..

- قالت: لم يعد رومانسيًّا كما كان..

- الدنيا وهمومها ومشاكلها أكبر من هذا الخيال..

- كان واقعًا.. وعشناه..

- الزمان يتغير ويجب أن تتأقلمي..

***

(٢)

الأيام تمضي والحكيم يلهث، طلب عرضها على طبيب نفساني، الزوج لا يريد ذلك فقد اعتقد أنها دخلت لمرحلة الجنون.. لكنها نصيحة الحكيم.

لا يعرف أحدًا فيتبرع بالذهاب معها مرة، مرتين، ينصح الزوج بالانتباه لعمله وترك هذه المهمة له.. أحوالها تتحسن باستمرار، تتجدد الأحاديث عنه كلما حل مشكلة عويصة، بعضهم يرفض هذا الأسلوب ويعتبرونه سذاجة، لا أحد يستمع إليهم..

تضيق بحال زوجها مرة أخرى فنصحه الحكيم بالسعي في الأرض.. السفر، الفكرة تروقها، يعرض مساعدته، الزوجة سعيدة، يستعد الزوج.. غمزات بعض الناس كلما رأوه، أو رأوها.. لا يصغي، الكلمات تتطاير ترسو بعيدًا عنه، الثقة عمياء لكن «العيار اللي ما يصيب يدوش» هكذا قال لنفسه.

أهل البلدة لن يصدقوا مهما قيل ومهما حدث، يشتري كل متطلباتها، يقرأ

خطابات زوجها، يرد عليه، بعد فترة يعود الزوج موفقًا ويدعو الحكيم..

تتناثر بعض الكلمات عن علاقة بينهما، فما اجتمع رجل وامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما..

- ليش مثل هذا الرجل؟

- لم يستثنِ أحدًا..

يجتمع إليهم ناهيًا إياهم عن قذف المحصنات الغافلات ويهددهم بما سيحل بهم..

يلقون بأفظع السباب، ويهددونهم بالطرد من القرية كلها، يعود الحكيم إلى وقاره، بل ازدادت ثقته بنفسه وخصوصًا بعدما أجمع الأهالي على صلاحه وتقواه، خاف المعارضون فكتموا أنفاسهم لكنهم اجتمعوا على شيء..

الزوج يعود فجأة وعلى وجهه علامات كثيرة، يسلم على زوجته وصغاره، وسلم عليه الحكيم بفرح شديد لم يكن بيده سوى حقيبة صغيرة وضعها بجانبه.. لم يفتحها.. وعندما جلس الحكيم أعطاه الحقيبة هدية، لم يتردد.. فتحها، ارتسمت على وجهه علامات الموت المفاجئ، صورهما ما زالت في خزانته، والنيجاتيف لم يأخذه أحد.. إنهم هم (يصرخ بحكمة): عملوها ولاد الـ....

***

لحظات الموت

جلس واضعًا خده على عصاه يتأمل الأرض.. يقضم أطراف أصابعه بقلق يقفز من وجهه، يكرر في ذاكرته كلمات ما فارقته لحظة واحدة منذ وفاة والده.

رفع وجهه ومال بظهره، والانفعال مرسوم على ملامحه وكأنه يستعيد الصورة كاملة:

أبوه يرقد على سريره في لحظات الوداع وهو بجانبه يتفحصه، يدعو الله أن ينطق لسانه عكس ما كان يكرره دائمًا.. وطلب منه السماح.. فارتفع صوت الشيخ الكبير قائلًا بنبرات حزينة متقطعة: «لا... لا... لن أسامحك أبدًا، ولن يرضى الله عنك طالما أنا عليك غاضب... وسيقتص منك».

رددها العجوز وقد احمرت عيناه... وتمنى ساعتها الموت... انتبه حزينًا على صوت ابنه الذي يجلس بجواره... نظر إليه مرعوبًا وكأنه يخاف أن يتكرر ما حدث وعاد لأفكاره متسائلًا:

- وهل يعقل أن يحدث منه هذا؟

- «متأثرًا» ولمَ لا؟

- «متفائلًا بعض الشيء» لكني ربيته على الخوف من الله منذ الصغر... وقررت بيني وبين نفسي أن يكون تعليمه دينيًّا، وها هو يكمل نصف القرآن حفظًا... وأحاديث كثيرة «منشرحًا»... حتى أني أراه يخطب لبعض المصلين بعد صلاتي العصر والعشاء «ويفرك جبينه نادمًا»... لكنه عقوق الوالدين وهو دين لا بد وأن يسدد.

وتمر الأيام.. الابن يكبر.. الخوف يزداد، ولهذا بدأ ينطوي على نفسه، يبتعد عن وحيده وكلما خلا إلى نفسه ردد عليها: «لقد كنت ابنًا وفعلتُ، وكانوا يقولون إني صالح، وفعلتُ.. «دمعة تسقط».. نعم لقد تلطخ عمري، وهوت قدمي إلى جهنم».

فها هو أبي بعدما حدث ما حدث رغمًا عني... نعم، أقسم أنه كان رغمًا عني إذ رأيت يدي تتحرك بلا شعور وكأنها ليست يدي... أين تذهب؟ إنها تقتلني وقد انتزع العقل من يدي... فاتسعت العيون وفغرت الأفواه، واستنكرت الأيادي وكان الهول... لقد سقطت يدي على وجهه، فما كان منه في هذه اللحظات البغيضة إلا أن قال ودمعة في عينيه لأول مرة أراها:

«الآن دعوة أمي تحققت» شعرت لحظتها كأنه مات داخل جلده..

رغم أنه ما كان يتوقع أن تحقق عدالة السماء دعوتها. بدأ ينطوي أمام عيني، يذبل كالنبات الذي حرم من الماء.

لم يعد أبي كما كان لقد كسرتُه بعقوقي، صار شيئًا هامدًا، لم يعد يهمه شيء، وأنا داخلي حسرة وألم، بل نار تضطرم.

لقد قالها أبي ولن أنساها وهذا ما يخيفني: «يا ولدي لقد عصيتُ والدي ولم يأمراني بمعصية كابن أبي، وأمي كانت تدعو لي دائمًا إلى أن يئست هي أيضًا وحدث مني كل ما لا يرضاه الله فدعت علي بابن عاق.

وها أنت تحقق دعوتها «بتألم» لم أظن أن العقوق سيصل إلى هذه الدرجة التي لم تخطر ببالي أبدًا، وأندم على كل لحظة مرت وأنا عاق لهما وستندم كل الندم؛ فمن فعل هذا بأبيه سيفعله به ابنه لا محالة... وحسبي الله ونعم الوكيل.

ترددت أصداء الكلمات في أذنيه وكأنه يسمعها لتوه... فقال وهو يقرر حقيقة... نعم سيتحقق ما قاله أبي فقد كنت عقيمًا وذهبت إلى كل طبيب... حتى وصلت بي الدرجة أن جهلت وذهبت إلى بعض الدجالين... دون فائدة... وبمجرد أن أصبت بتلك المصيبة، لم تمر سوى بضعة أشهر حتى حملت به زوجتي. إنها إرادة الله عز وجل.

كان الأب يتجنب الجلوس مع ابنه في أحيان كثيرة خوفًا من أن تتحقق

دعوة والده... لم يلحظ الابن ذلك فكان يتقرب إلى أبيه بقدر المستطاع، وكلما رأى منه الأب ذلك زاد قلقه، فبدأ يتمنى إن حدث شيء ألا يحدث أمام الناس، ولأول مرة يسمع وكأن هاتفًا يرد عليه بأنه سيحدث وسط الناس كما فعلت.

دخل النسيان إليه دون أن يدري فصارا أخوين.. يتسامران.. يتضاحكان.. فحدثته نفسه أن لطف الله قد يحدث ويسامحه فإلى متي سيصير بعيدًا عن وحيده؟ الكهل ينسى والابن يزداد تعلقًا بأبيه.

وما زالت الأيام تجري، ونسي كثيرون ما حدث سوى الكبار الذين كانوا يعتقدون أن انتقام الله واقع، وانتظروا هذه اللحظة التي سجلتها البلدة في ذاكرتها لتصير عبرة لكل عاق... وحكاية تُرْوَى لأهلها... فقد جلسا معًا يباركان بأحد أفراح بلدتهم، أتى أحد أهالي البلدة صارخًا يستنكر تعرض الابن لابنه في أحد نقاشاتهم التي تطورت حتى وصلت إلى التشابك بالأيدي، فما كان من الأب إلا أنه بدأ في توبيخ ابنه بصورة غريبة... بل قام مفزوعًا من مجلسه وهمَّ بضرب ابنه... لم يشعر إلا ويد ابنه تستقر في المكان نفسه الذي استقرت فيه يده منذ عشرين عامًا... ودمعت عيناه كما دمعت عينا أبيه من قبل.

وازدادت حسرته، ودارت به الدنيا وضاقت نوافذها... جلس وسط

ذهول الجميع، كان في قرارة نفسه يتوقع ما حدث إلا أن ظاهره عكس ذلك، نظر إلى ابنه الذي مازال مذهولًا وقد تيبست يده، فها هي تقف تمامًا دون حراك.. لقد شلت.

وتقدم إليه أحد أصدقائه مذكرًا إياه بما فعل مع أبيه من قبل... ومتى نسي كي يذكره أحد؟!!... استعاد ابنه بعضًا من وعيه المفقود وبدأ يبكي بهستيرية فيها كل معاني الندم الذي لن يسامحه عليه أحد.. فقال له يا ولدي لقد قال الله عز وجل: «وبالوالدين إحسانًا» صدق الله العظيم. وقد أسأت لأبي... أي عصيت الله فلا بد أن يعلمني ربي كيف أطيعه، فكنت أنت رسالة لي ولو أني ما فعلت تلك المصيبة لطوعك الله لي.

وليسامحك ربي ولن أدعو عليك كي لا تكون سلسلة موروثة في أولادك وعانق ابنه وسط بكاء الجميع.

***

هي وأخي والكلب

السفر ممل، اليوم ينتهي سريعًا دون الانتظار، أمسكت حقيبتي وأشرت إليهم مودعًا من داخل القطار، وعلى كرسي منزوٍ بعيدًا جلست أقرأ كتابًا بيدي، الأفكار ما زالت تتصارع متحدية كل الأقفال التي وضعتها والمواثيق التي أبرمتها.

برز إلى وجه أخي من أحد المسافرين، تركت الكتاب وبدأت خيوط الفكر تتلهى بعقلي، أستنجد بالكتاب ولكن ليست هناك نشوة للقراءة، تجمدت الأفكار في عيني وعدت إلى أخي، الجيران يحلو لهم الكلام عند مروري: هجرهم، هرب منهم، طفش من غلبهم، كلمات تتطاير إلى أذني دون اهتمام، جدي دائمًا كان يقول «أنت يا بني طيب وهذا ماكر»، كلانا يفرح بصفته وهو أشد فرحًا مني، فكلما زادت دناءة الصفة زادت فرحته، كنا دائمًا معًا لا نفترق، ويَعْجَبُ منا من يرانا لاختلافنا في كل شيء.

القسوة والتكبر سمتان كان يشتكي منهما كل من عرفه، زملاؤه ومدرسوه، حتى الجيران لم يسلموا منه، وهذا ما كان يخيفني، فأنا ذاهب

إليه وأعلم أن القسوة كالغبار الناعم تتجمع وتتزايد باستمرار طالما أنها وجدت ما يواريها من التطاير، وهنا تذكرت قول جدي «للسماء عيون وآذان لا تخف» وجدت نفسي وجهًا لوجه مع أخي... رفرفت الذراعان وحلقت بهما عاليًا وشعرت أن كل ما قيل عنه هراء.

يراني يدقق النظر وأنا أهرول، لم أر على وجهه أي علامة للفرح، أو حماس لرؤياي، وكأنه خرج من بيتنا بالأمس القريب، مد ذراعه حاجزًا بيننا لكي لا يصافحني، مددت إليه يدي وقد انتزعت شيئًا من قلبي رميته إليه بحزن واحتقار، استعدت كل ما قيل عنه من صفات ذميمة، اللحظات تحترق أمام عيني، تقفز محاولة الانتحار، الدموع وصوت الآهات لا يباليان بمن حولهما، كم تمنيت لو أن تلك اللحظة لم تكن أو أنها هربت من حياتي، ليتني جئت قبل أن يصير البشر.. بشرًا، وقبل أن يخرج الحيوان عن طوره الصامت ويدمن فنون الكلام. الحيوان، كم مرة تعانقنا وجروي الصغير، تعانقنا كالبشر، أبدًا ما جرح أحدنا شعور الآخر، حتى عندما كان يهرول خلف قطط الجيران وأنهره، كان يجري ويبسط ذراعيه على الأرض ويرفع رأسه ويهز ذيله، أضحك فيجري أمامي معلنًا التصالح، الأطفال يعشقونه ويكرهون القطط، أخي الصغير يقول: «القطط تقرأ كثيرًا ولا أمانة -يقصد همهمة القطط- والكلاب لا تقرأ وكلها أمانة».

دمعة ما زالت تتلصص على وجهي وآهات أكتمها فتخرج زفرة، زفرة من كل أعماقي عندما تذكرت أن والدي أصر على أن يأتي معي لولا أقنعته ببعد المكان وعدم معرفتي به، هل كان حقًّا سيفعل مثل ما فعل؟

يااااالله كم كانت ستصير اللحظات مميتة لكلينا، وهل كان يستطيع تحمل هذا؟

الحمد لله، رغم أن الدنيا تحتضن القساة بحنان بالغ، إلا أن عناية الله فوق كل شيء.

ولكنهم هم السبب. فقد كان مميزًا لدرجة الغيرة منه، أخوكم الكبير، هذه هي الكلمة المسيطرة علينا، أبي وأمي دائمًا يفخران به في كل مجلس وحديث، إذا أخطأ فلا يحاسب حتى عندما كان يعاكس ابنة الجيران وتشتكي منه لا يبالون.

وخطر ببالي يومًا تقليده ولو في هذا التصرف الشائن، نمت أسبوعًا خارج المنزل، كان مبذرًا حتى أنه كان يأخذ مني ما أدخره ليخرج مع إحدى زميلاته في الثانوية، لا أستطيع البوح بشيء، العبرات ما زالت تختلط بنظراتي.

أخذت نفسًا عميقًا وحاولت إيجاد حجة له أو عذر، فقلت في نفسي قد يكون متأثرًا بما يرى من أحوال العرب، فهذا يحدث باستمرار، نتبرأ

ممن هم من دمائنا، ولو رأيناهم يُذبَحُون، فتلك شروط الخنازير، وكم من إخوان قطعوا والعرب... يشربون ويقولون تلك شروطهم، ولم يطرأ على بالهم أبدًا ثور أبيض أم أسود أم أحمر ويضحكون، أطفال يداسون بالأقدام، وعفيفات يحاول معهن القرود فعل أفعال شائنة، الأفواه كممت بالصمت، نسيت تاريخهم، كرهت أخي وكرهت العرب وهم ينتظرون أن تمطر السماء سلاحًا وجنودًا وبعدها سلامًا وورودًا، عذرت أخي ولم أعذر العرب، وتذكرت قول جدي «العرب كانوا زمان، أما الآن فهم يا ولدي في شيئين فقط، بطونهم والنساء».

سيعذرني أخي عندما أشرح له موقفي، ففي لحظة ما لا بد وأن يضحي الإنسان بشيء ما لكي لا يخسر كل شيء، وهذا ما فعلته فقد خفت أن يوضح لهم أشياء خبأتها عنهم، وهو لا يدري كم عانيت حتى بنيت هذه الفكرة عني في العمل وفي العمارة التي أسكنها بل وفي المدينة كلها، ولا أحد هنا يسأل، أما لو عرفوا فتلك مصيبة ستقلب حالي رأسًا على عقب، الآن أعيش كأغنى رجل في المدينة حتى زواجي لن يكون عاديًّا بل كما رسمته في خيالي، وسيساعدني على ذلك اقتناع الجميع بأن أهلي لم يتبق منهم أحد، وبالأخص صاحبة العمارة والتي جعلت نفسها كأمي التي فقدتها قريبًا، أخبرتني أنها ستزوجني كما لو أن أمي لم تمت، لم يكذبني أحد، أما هذا فرغم أنه أخي الصغير، إلا أني أخاف دائمًا من مثالياته

الزائدة، فعندما كان يراني أفعل أي خطأ، يحاول نصحي، وهذا ما كنت أجده كبيرًا، فكيف لأخي الصغير أن يكون أصوب في رأيه وتصرفه؟

وها هي صاحبة العمارة تأخذني إلى إحدى الأسر وعرفتهم بي وأرتني عروسي ـ أخي يعلم طبيعتي، فهذه ورغم أننا تفاهمنا على كل شيء إلا أنني حاولت تقبيلها مرات عدة فماذا لو عرف؟

كان دائمًا يقول: «إنك ذو نظرات وقحة مع النساء وأنا أضحك، أعلم أن حبي للنساء حبٌّ مريضٌ خالٍ من الأمانة، فكم مرة خلوت بإحداهن وقمت بحركات مريبة كانت تغوي مريضات النفوس، حتى العذارى لم يشفع لهن حياؤهن واحمرار خدودهن عند الحديث، فكنت أستغل الشيء الرباني في أسوأ صوره.

أحبتني رغم معرفتها بطبيعتي، فكم مرة تأملت عينيها الخضراوين بلا حياء، فتغمضهما على كل تقاطيع وجهها التي حفرت داخل قلبي وتضحك ضحكات تزلزل أرجائي، ناقشني أخي ذات مرة أن المرأة تحب دائمًا من يحميها حتى من نفسه. فقلت: بل تحب المرأة من يتودد إليها بأي شيء، وأنت لا تعرف من أمورهن شيئًا، كان يخاف الله وأعطاه الله.

وأنا أخاف الله، ورغم عقوقي لوالدي إلا أن الله قد وهبني تلك الزوجة، وبدأت أشعر باستقلال عن كل شيء، حتى صاحبة العمارة لم

أعد بحاجة إليها، كانت طيبة وأنا أكره أن يعيش الطيبون هذه الأيام. فما أسهل أن تستغلهم، وتضيع حقوقهم ويسامحون، الطيبة ضعف ولن أعترف بضعيف، حاولت أن أفعل شيئًا غريبًا مع أهل زوجتي فأقنعتهم تمامًا بأن كل ما أملك لزوجتي وأن هذا من مبادئنا، كانوا طيبين أيضًا.

.....

أحد أقاربه يأتي إلى المصنع، يسأل عنه فلا يجده، يعطي عددًا من الرسائل لأحد زملائه، لا يصدق ما يرى، المرسل.. أبوك.. عمك.. إلخ.

كانت صدمة لجميع من في المصنع، وتفشى الخبر كما الطاعون، ولم يصله هو، ذهب زميله إلى أخي زوجته وأخبره، مصيبة، لم يصدق أخوها فذهبا إلى من أتى بالرسائل، فتأكدا، وكانت الخطوة القادمة هي كيفية إخبار زوجته، تلك المسكينة التي لم يكن لها ذنب سوى أنها أحبت بصدق من كان الكذب قناعه، والخداع قانونه في الحياة. المرأة ورغم رقتها وصفاء قلبها، فلو نام إبليس على حجرها لأرضعته، إلا أنها إذا قست فلا رجعة.

صرخت مفجوعة كمن مات أهلها جميعًا، أنبأت أباها وأخاها وكل من له صلة بهذا الزواج، كل يحاول تهدئتها دون جدوى، وأهم شيء، كيف نضمن حقها؟ فأقنعته أن يكتب لها الشقة، كتبها فلا داعي للقلق، واجهته بالحقيقة.

دارت به الدنيا كمن فقد الذاكرة، لا يعلم أن خيوط العنكبوت تأتي عليها قشة صغيرة فتمزقها، فر من وجهها المذعور فأول مرة يصدم بعاقبة كذبه.

جاء إلي وكله انكسار حزين قرأت على وجهه العودة إلينا.

تذكرت جدي عندما قال «ما تخزنه النملة يأخذه الجمل في خفه».

***

لن يموت الأمل

المنزل مزدحم، الوجوه كثيرة ومختلفة، العيون تختلس النظر إلى شاب قد أكلته أعوامه العشرون، وها هو يهذي ثم يغيب عن وعيه، وأبوه بجانبه قد بللت لحيته الدموع، نحيب أمه وأخواته قد أثار دموع كل من مات له عزيز، أفواج من نساء القرية بجلابيبهن السوداء يحجلن كالغربان وكأنهن قد أعلنَّ الحداد، كان قلبي ينقبض من تجمعهن في تلك الأحايين.

لم يردعني هذا عن نظرة إلى ذات العينين الخضراوين... أخته الصغرى وقد بدأ اخضرارها في الذبول، يااااه... وأواه من حزنك يا صغيرتي، من كل لحظة قست عليك، من كل دمعة نامت بعيدًا عن حضن عينيك، أخي الصغير يهز يدي طالبا الدخول كي يراه... الأطفال متعلقون به، يجتمعون حوله كل يوم ويمرحون، ساءت حالته وبدأت أسئلتهم تلتهم السكون، لماذا هو نائم؟.. ولماذا هذا الزحام؟؟ يستفسرون عن عبارات الموت.

وقف الجميع مشدوهين على صرخات أمه وأخواته.. التراب على رؤوسهن وجلس أبوه في ركن بآخر المنزل ممسكًا بجبهته... وراح يبكي.

أخي يقول: حتى الكبار يبكون ؟

نزعت الأم ثوب الفرح ممزوجًا بالذكريات، سكن الحزن قلوبهم، أخواته مضرب المثل في الجمال، تحول لونهن الوردي الهادئ إلى الأصفر الباهت؛ أهذا هو الموت؟!.. أخي يسأل.. يموت الجميع عندما يموت أحدهم.

- لا لكنه وحيدهم.

- معه ثلاث أخوات.

- نعم؛ ولكن (لا أعرف جوابًا).

- ليس معه أولاد.

- (شعرت بأنه اقتنع بإجابته) نعم.

- وزوجا ابنتيه؟

- ليسو كأولاده.

- ممكن أحسن.

- لكن هذا لا يظهر سريعًا .

- إن لم يموتوا فسيظهر كل شيء.

كان الأب صبورًا جدًّا، كنا نخاف عليه من قلة حديثه، إلا أن إيمانه

الواضح كان يطمئننا عليه، في الجامع الكبير وأمام أحد الأعمدة جالسًا يتدبر كلام الله، ينظر إليه، بإبهامه يمسح خيطًا رفيعًا من الدمع جرى على وجهه.. ويذكر ربه. وعندما يعتلي ظهر حماره في تلك الطريق الوحيدة إلى حقله والتي كانت كل خطوة فيها بذكرى أو أكثر. الحمار يمشي بهدوء واطمئنان، الرجل يتأمل كل شبر أمامه وبجانبه، نزل إلى تلك الشجرة التي جلسا تحتها يوم أن هرب حمارهما واتجه إلى المنزل. نظر إلى هذا الاسم المحفور على جسم الشجرة وقد بدأ يكبر كلما كبرت، قبّل هذا الاسم وهو يتذكر تلك اليد التي كانت تكتب، بيت رابض على رأس طريقه أثار حزنه كله عندما وقعت عيناه على تلك المسكينة الشاردة قرب بابه، كانا لا يفترقان وقد اقترب موعد زفافهما... يسير بجانب الترعة يحتضن بعينيه سفينة وحيده المصغرة، عمودان ثُبِّتا بإتقان على الجانبين وبمسافة أعلى الماء بقليل، وفي متناول اليدين ربط بينهما حبل شديد بأسفله برميلان عليهما لوحة خشبية، يبتسم بحزن كأنه يرى الأطفال الذين كانوا يمرحون معه... دمعة تقفز من عينيه، أغمضهما كي لا يراه أحد، يا لقسوة الذكريات، بل قسوة العمر عندما تصير اللحظات جزءًا حزينًا يجبرك أن تستعيده، يتجسس على ذاكرتك يتحداك أن تصمد، تتناسى محاولًا الهروب، يجثم فوق صدرك يمسك بعنقك يخنق روحه، تبرز العينان، يصرخ إلى أعماقك تهتز كثيرًا، كثيرًا جدًّا، تدمع أو تموت.

الكبرى تلوم نفسها، تتعذب تعاتب قلبها، تتمنى لو لم تتزوجه توقعت أن يقف معها، يساندها، يعوضها أخاها، تذكرت كلمات أبيها الرافضة، وكيف عاندته، لن تدع نفسها سهلة كطبيعتها... قد تغضب أمي لكن لا يوجد حل آخر «هكذا أقنعت نفسها» دخلت عليها مترددة، وقفت فوقها، اللسان مكبل والعقل قد ذهب إلى حيث زوجها. تحسست وجه أمها بعينيها لم تقرأ سوى الحزن وبعض الشرود.

– أمي... تنتبه، تلتفت... تُرى ماذا تفعلين لو تزوج أبي؟!

– بنيتي، تعلمين أني كبرت وأن أحب شيء إلى قلبي أن أرى أخًا لكم.

– أعني..

– أفهمك، لقد طلبت منه مرات عديدة وهو يرفض.

– «بفرح» وإن أقنعته.

– إذن، فقد نجحت فيما فشلت فيه لسنوات.

– بدأت اجتماعاتهن في كيفية إقناعه ورأين أن تكون «دعاء» الصغرى هي مفتاح الموضوع لأنها أحبهن إلى قلبه... حاولت، فشلت... تجمعن.. وقاره يمنعهن من الحديث، دعاء تعيد الكرة، يهمهم يبتسمن برجاء كدعوة للحياة، يرق قلبه.

- صغيرتي هذا ليس عيبًا ولا حرامًا.

- «يقاطعنه بفرح» إذن لم لا؟

- لأني كبرت.

- ونحن صغيرات ونحتاج إليك.

- الله موجود.

- ونعم بالله، ولكن خلق لكل شيء سببًا.

- وإن لم أرزق؟

- سيكون هذا قدرنا.

- أو ليس هذا بقدر؟

- «صمت يمزق قلوبهن» لكنك تستطيع الزواج.

- وإن أنجبت بنتًا.

- أطال الله عمرك وتربيها.

- حبيباتي الغاليات... أعلم أن ما تبقى من العمر ليس بقدر ما ذهب وأخشى إن مّن الله علينا بما نريد ألا أستطيع تربيته.

- «يبكين» ويجرين عليه يقبلن رأسه ووجهه.

زوج الكبرى يصعقه الخبر، أحلامه تتهاوى سريعًا، يبرز إليه شيطانه مرات عديدة، لكن لم يستطع فعل شيء، أتى زوج الوسطى مهنئًا.

التفاؤل يعم المنزل، وجوه عَتُقَت من الحزن بدأت تلفظه أخيرًا بلا رجعة، جنين الفرح تعلق برحم المنزل، صار شخصًا كبيرًا يراقبونه، يسلمون عليه، يتوددون إليه وخصوصًا بعدما رأت دعاء في منامها أن أباها سماه محمدًا، تمرُّ الشهور... بدا العجوز محاصرًا من عمره، المرض يفترس ما تبقى منه، يتظاهر متماسكًا... الشهر التاسع من حملها... تمر الأيام بطيئة متلكئة، كلهن مفعمات بالحياة، وجوههن عادت إليها نضارتها، خطواتهن تتراقص، كلماتهن كنغمات العصافير، اللحظات جامدة، الترقب في العيون والقلق على الوجوه، تدخل تلك العجوز ذات الأصابع المخيفة وقد أمرتهن بتسخين الماء والدعاء لها.

جلس الأب على سريره وبناته وزوجته حوله يبتهلون إلى الله يطلبون السلامة، الوقت يمر، المرأة تصرخ، صوت العجوز ينهرها وتطلب منها المساعدة. اللحظات تمضي، والأب في عالم آخر.

إعلان الصغير الدخول إلى الدنيا باكيًا ككل البشر، ضحكات وزغاريد على صوت البكاء، لا يعلم هذا الصغير قيمته، ما زال يبكي، يحملنه إلى والده.. إنه أخونا.. أخونا.. لك الحمد يا رب، يطلبن من

أبيهم نقوطًا، يبتسم، يحمله بيديه إلى أعلى، يتكئ على وسادته، رافعًا إياه متأملًا ملامحه، يدنيه شيئًا فشيئًا إلى صدره، يزغردن، تسمرت العينان، الطفل يبكي والعجوز بلا حراك.

***

الخير باقٍ

القرية تبتسم فرحة بقدوم ربيعها، الزهور تتمايل راقصة على غصونها كلما رأت النسيم، الأطفال يمرحون فرحين وهم يتسابقون تحت أشجار الفاكهة فتداعب أحدهم برتقالة تسقط أمامه يجري عليها الآخر كي يلحق بها ويرميها هذا فيأخذها ثالث. الكبار حولهم يشاركونهم فرحتهم، الطيور ترفرف فرحة مغردة وهي تنتقل من شجرة إلى أخرى.

وحول هذه الزروع تتناثر البيوت دون ترتيب مسبق، كل بيت تجد أمامه عددًا من أشجار الفاكهة إن لم يكن بداخله الفلاحون كلهم عامل لا أحد ينتظر أن يقال له افعل كذا... الكل يعرف ماذا يفعل، على الجانب الثاني من هذا المجرى المائي الذي يمرح في القرية مداعبًا قطراته.

تركض بعض بيوت لأهالي هذه القرية لكنهم لا يأتونها إلا مساءًا.

وبين هذه البيوت جلس واضعًا وجهه على كلتا يديه مطأطأ الرأس كي لا يظهر لمن حوله بدأ الأطفال يتجمعون حوله شيئًا فشيئًا وأتت

بعض النسوة الكل ينظر إليه رفع وجهه ثم أعاده إلى الأرض وبدأ يتمالك أعصابه ولكن بدون فائدة إذ بدت الدموع تتساقط متتابعة على الأرض وبدأ يعلو صوت البكاء حتى رق لحاله النسوة، وبكى لبكائه الأطفال عجوز تخرج من بيتها على الصوت وبيدها عصاها التي لا تفارقها تنظر إلى هذا الغريب الذي لا يسكت عن البكاء وكأنه لم يبك منذ أمد بعيد أرادت أن تعرف سبب بكائه سألته:

- ما بك يا بني؟

لم يستطع الرد عليها الدموع تتساقط الصوت يرتفع أعادت السؤال بدأ يهدأ ويرد عليها بصوت متحشرج متقطع ووجهه مغروس بالأرض.

- سُرقت.

- ممن؟

- من شخص لا أعرفه تمامًا.

- وكيف تم ذلك؟

- رفع وجهه قليلًا ولكن بصره ما زال معلقًا بالأرض وكأنه أراد أن يقول شيئًا أو يستعيد بذاكرته ما حدث ثم قال:

- أنا في بلدتي والحمد لله ميسور الحال أردت أن أرفه عن نفسي بعض

الوقت... في رحلتي تعرفت على أحد الأشخاص وما افترقنا طوال يومنا أخذنا غرفة في إحدى اللوكاندات وفي صباح اليوم التالي لم أجده على سريره.

ظننت أنه خرج لشيء ما.

لم يرجع.

حافظة نقودي أخذ كل ما فيها تركها فارغة.

أدركت أني وقعت في ما لم أضعه في حسباني سألت صاحب اللوكاندة أخبرني بخروجه مبكرًا وإنه دفع الحساب.

ضربت كفًّا بكف دون فائدة، شكرت الله على دفع الحساب أخذت حقيبتي وبها هذه الملابس التي ترين والحافظة فارغة العجوز ترفع حاجبيها المتهدلين وتتسع عيناها الضيقتين ثم تقول:

- كم تحتاج للوصول إلى بلدتك؟

- أدرك طيبة قلب العجوز وتأثرها وملامحها تدل على هذا فرد عليها: (...) جنيهًا.

- فكر قليلًا وهي تنظر إلى الحقيبة وتحركها بعصاها ثم تقول:

- أعطني الحقيبة بكل ما فيها رغم أنها لا تستحق كل هذا المبلغ.

- «جحظت عينا الرجل فجأة»... يستمع إلى هذا الوابل من الرصاص

المسموم قائلًا «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

رأتني مذبوحًا فأرادت أن تسلخ جلدي لا يهم.

- خذي الحقيبة وأعطيني المبلغ.

تمسك الحقيبة بيديها المرتعشتين وتضمها إليها وهي فرحة بهذه الغنيمة في هذه اللحظة حضر جارها إلى داره رأى زحامًا شديدًا قصت عليه إحدى النسوة ما حدث ذهب مسرعًا إلى هذا التجمع العجوز تتمعن الملابس الثمينة نظر إليها متسائلًا:

- من أين اشتريتها؟

هي تكرهه وتعلم مدى كرهه لها لأن طبيعتها مختلفة تمامًا:

- من هذا الرجل؟

- هو تاجر؟

تلعثمت في جوابها ثم استدارت بوجهها وهي تقول تاجر أو غيره فهو قد باعها ودفعت ثمنها.

- كم دفعتي؟

- كل ما يحتاج.

- اعطه حقيبته.

- قلت لك اشتريتها ولم آخذها جبرًا.

- ماذا يفعل هذا الغريب غير الذي فعل؟

- اعطه حقيبته.

«الرجل ما زال في ذهوله فها هي حقيبته تباع ثم ما لبثت أن عادت إليه وهو لا يملك شيئًا من كل هذا».

حتى الكلام في هذه اللحظة ليس من حقه.

العجوز في حنق تلقي نظرة أخيرة على الحقيبة التي استكانت بين يدي صاحبها وتستدير العجوز وهي تتلفظ ببعض الكلمات غير المسموعة ثم تعود مسرعة إلى الدار، الفلاح الطيب عساه ذلك ينظر إلى الغريب ويقول بنظرة الكرم المعهود فيه:

- يبدو عليك الجوع والإرهاق.

- إنني حقًا متعب وجائع وليس لدي ما آكله أو آكل به.

- الخير موجود والحمد لله.

ينادي الفلاح الطيب (أبو أحمد) على ابنه ويقول له هذا ضيفنا اليوم يا أحمد.

مرحبًا به هكذا يرد الصغير ثم يذهب مسرعًا إلى أمه متعجلًا إياها في إعداد الغذاء.

يجلسون معًا ويتناولون الغذاء مما أفاء الله عليهم ويشكرون الله عز وجل... ثم يتطرق الحديث بينهم إلى ما حدث لهذا الغريب...

يتعجب أبو أحمد من الدنيا، وما يحدث فيها، ويعرض عليه أن يقضي ليلته بينهم وفي الغد يعود إلى بلدته يضحكان، ويأتي بعض أصدقاء أبو أحمد ويستمر سهرهم إلى منتصف الليل، وذهبت الهموم هنا أدرك رياض أن الخير موجود وأنه أكثر من الشر.

تشرق الشمس ينتظر أبو أحمد رياض حتى يستيقظ، إنه مستغرق تمامًا في نومه.

أم أحمد تجهز لهم الفطار، وبعض ما سيعطونه لرياض من فاكهة وأشياء أخرى.

السيارة تنطلق إلى محطة القطار.

- العنوان معكم أرجو أن تأتوا لزيارتي في أقرب فرصة.

- إن شاء الله قريبًا.

هكذا يودعهما رياض، القطار يسير بطيئًا كعادته، إنه لا يكاد يتحرك

الكل مشغول، يصرخ القطار موضحًا لهم بداية رحلتهم، كلهم بدأ يرتب لرحلته هذا غطى وجهه وذهب في نوم عميق... هذا يداعب ابنه الصغير ليسكته عن البكاء... هذا ينادي على زميله... هذا يشتري طعامًا... هذا... شيئًا فشيئًا يهدأ القطار... لا صوت... لا حراك يصرخ القطار معلنًا بداية رحلته لأفراد ونهايتها لآخرين... رياض يمسك أشياءه... يخرج يتجه إلى البيت يجلس يتذكر ما حدث منذ خروجه حتى عودته رحلة مثيرة... يدخل والده لا يشعر به... يسأل نفسه يجيب... يتعجب والده لشأنه يسأله عما به يتردد... يكذب لا... لا إنه يكره الكذب ويحتقر الكذابين وروي لوالده ما حدث:

- نصحتك كثيرًا بألا تخدعك المظاهر فالثعبان كما ترى ناعم المظهر.

- الثعبان !! إنه لا يؤذيك إلا إذا آذيته لكن هذا... سامحه الله.

- هكذا بعض الناس.

- تعلم الحياة ليس سهلًا.

- وبالنسبة للبلدة التي ذهبت إليها أما تذكر عنها شيئًا؟

- لا... ماذا بها؟

- أما تعرف ما حدث لسعد الديب؟

- أعرف.. لكن.. ما علاقة قتله بهذه القرية؟

- هم الذين قتلوه.

- أي والله لقد تاه كل هذا عن عقلي وما ذكرته إلا الآن.

- أعرف أنك نسيت وكلامي لتذكيرك.

- وهل يعقل أن يفعلوا شيئًا بعد هذا الوقت؟

- أنت تعرف جيدًا أن هذا الموضوع لا ينتهي بزمن معين.

- ماذا تقصد؟

- إذا أتاك أي أحد منهم يجب ألا يعرف «بيت الديب» عنه شيئًا.

- وهل أجعله في البيت لا يخرج منه.

- لا أقول هذا ولكن لا يعرفون بلدته أنت تعرف جيدًا أنهم ما قبلوا عزاء وأن أخيه لم يخلع جلبابه الأسود إلى الآن.. أظنك تعرف معنى هذا؟

- أعرف لكن إلى متى لا بد أن ينتهي.

- الكل يقول ذلك دون جدوى.

- هداهم الله.. كم بيت أغلق بابه وكم زوجة ترملت.. وكم طفل مات وهو إما طالب أو مطلوب.

- نعم حتى الصغير.. قتل الكبير.. ماذا تبقى.. ماذا لو أنهم قبلوا الصلح، وانتهت المشكلة أما هكذا فهم كجماعتين متقاتلتين في شارع مغلق على نفسه ولا بد أن يتقابلوا.

- «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» فليرحموا أنفسهم ويرحموا أطفالهم.

.....

إحدى الكتائب العسكرية شيء ما قد حدث... دفعة جديدة قادمة.. جنود جدد يتعارفون مر يوم وآخر عليهم بدأوا يتلاءمون مع هذه الحياة العسكرية بعد فترة صار الجنود فريقًا واحدًا الكل يعرفون بعضهم « أحمد لأحد زملائه ويدعى حسن:

- قلت أنك من بلدة النعيم.

- نعم.

- هل تعرف الحاج رياض محمود؟

- نعم إن عائلتينا بينهما قرابة ونسب ولكنك كيف عرفته؟

- إنه صديق والدي.

- هل زرته من قبل؟

- للأسف لا.

- في أول إجازة قادمة تمر في طريقك معي على بلدتنا.

«أول إجازة لهم يرتدون الزي العسكري.. الكل فرح.. يخرج الجنديان قاصدان بلدة حسن.. من يراهما يظنهما أخوين إذا هما متقاربين، صفات كثيرة.. حتى البنيان الجسدي» يدخل حسن وصديقه إلى المنزل، يجد أباه وإخوته يسلم عليهم، يعرفهم بصديقه يأتي حسن لأحمد بجلباب كي يغير ملابسه العسكرية، الكل مجتمعون يتناولون الغذاء ثم الشاي، يسأل الوالد الابن وزميله عن حالهما ويناقش معهما بعض الأمور، يسأل حسن والده إن كان يعرف أحدًا في بلدة أحمد ويعرفه بأنه قادم لزيارة الحاج رياض، يجيبه بأنه لم يذهب إلى هناك منذ أمد بعيد، لكن شيء ما يظهر على وجه الوالد، يستريحان قليلًا ثم يخرجان إلى أحد نوادي الشباب كي يلتقي حسن ببعض الأصدقاء الذين لم يعلموا بقدومه، يتجمع حوله الأصدقاء الكل يسأل عن حالهما وهل هما في راحة أم تعب، حسن وأحمد يجيبان... الأصدقاء يسألون... بعد ذلك بدأت سهرتهم.

والد حسن يستعيد كلام أحمد وينادي على ابنه الكبير ثم يقول:

- هل عرفت أحمد؟

- عرفت أحمد! ماذا تقصد؟

- «أحمد من بلدة...» فهل تدري ما حدث بيننا وبينهم؟

- خير إن شاء الله.

بعصبية ظاهرة يشعر من خلالها الابن بخوف شديد على زميل أخيه.

- ليس خيرًا أما تعرف ما حدث لعمك وصار عار على جبيننا إلى يومنا هذا؟

يفزع الابن محاولًا التظاهر بتماسكه إذ أدرك ما قد دار بخلد أبيه ومهما جادله فلن يرده عما في نيته... فيقول باستعطاف:

- وما ذنب هذا المسكين فيما حدث لعمي؟

- ظننتك ستفرح عندما أخبرك بما عزمت عليه.

- باستنكار واضح «وهل عزمت على ما تقول»؟

عزمت ورتبت كل شيء... الحفرة خلف المنزل هي قبره وينظر إلى رصاصة بيده ويقول وهذه التي سترفع العار عن وجهي.

- يصرخ الابن بهستيرية وهل بهذا سترفع عنا العار؟ بل ستجلب لنا العار، أن تقتل نفسًا بريئة، وهو ضيف ابنك وهو لم يرتكب شيئًا كي يقتل، أما علمت قول الله عز وجل «ولا تزر وازرة وزر أخرى» صدق الله العظيم.

– ما ذنبه... ذنبه أنه أتى مع ابنك واستأمنه على روحه لصداقته.

– يقاطعه بحدة «لا تخبر أخاك بما أنوي فعله أقسمت بالله إن أخبرته سأتبرأ منك إلى يوم الدين».

– قلت لن أخبره ولكنك لا بد أن تعرف شيئًا مهمًا.

– ما هو؟

– أننا جميعًا نمر على هذه البلدة فإذا فعلت هذا قتلوا أحدنا.

– وكيف يعرفون أننا قتلناه وهو بجيشه؟

– زملاؤه سيخبرون أنه خرج مع حسن في إجازته.

– فليقل حسن أنهما خرجا سويًّا لكن ذهب كل منهما إلى شأنه وهو لا يدري عنه شيئًا.

– إذن حسن...

– يقاطعه بحدة قلت لا تخبره وسيعرف كل شيء في حينه.

– أرجوك يا والدي لا تفعل فأنت تعرف أن والديه ينتظرانه فهو ابنهما الوحيد... وصغيره الذي لم يكمل العام... وزوجته التي تنتظر بفارغ الصبر ما ذنبها؟

- لا تجادلني كثيرًا.

- لا فائدة... إذن حكمت على أحدنا بالموت.

الأب يترك ابنه ويتجه إلى خلف المنزل يمسك بفأسه ينزل إلى قلب الحفرة يبدأ في تعدليها، الابن ينظر خلسة إلى أبيه يجده منهكًا تمامًا بسرعة يجمع الزي العسكري لأخيه وزميله، ويضعهما داخل حقيبة صغيرة، وينطلق إلى أخيه بالنادي الذي أشار إليه بقلق واضح أتاه حسن فقال له.

المقدمة لن تفيد فاسمع ما سأقول.

- أنت تعرف أن عمك قتل.

- أعرف.

- أحمد من البلدة التي قتلت عمك.

- ما المشكلة؟

- أبوك يريد قتله.

- صعق حسن ووقف في حالة ذهول.

- أنني لا أستطيع التصرف أو حتى التفكير.

- بل يجب التفكير بسرعة.

- هل وصل تفكير أبي لهذه الدرجة؟

- وأكثر بكثير لا بد أن تتصرف مع أحمد بحيث لا يشعر بما يدور حوله وهذه الحقيبة بها ملابسكما العسكرية.

- لن أعود للمنزل.

- لا تعود وتصرف بأقصى سرعة وأنا راجع إلى المنزل بحيث لا يعلم أبوك أني أخبرتك.

«ليتني ما أحضرت أحمد معي لكنني... وهل أعلم أن هذا سيحدث... يجب أن أتصرف بهدوء... الخوف أن يشعر أحمد بشيء... ستتغير نظرته لي ولأهلي فلأكن هادئًا ولكن كيف؟...»

حسن يجلس بجوار أحمد هامسًا:

- فلنذهب إلى الحاج رياض.

- هيا بنا.

وفي الطريق إلى منزل الحاج رياض يحاول جاهدًا التماسك، يطرق الباب.

- الحاج رياض موجود.

- ذهب إلى الصلح المعقود داخل ديوان العائلة، يسرع خطاه إلى هناك

ومن خارج الباب، يطلب من أحد الداخلين مناداة الحاج رياض يسلم على حسن وصديقه «أحمد عرفه منذ رؤيته لكن الحاج رياض يخرج الحاج رياض لم يستطع معرفته بتغير ملامحه كثيرًا» يبادره أحمد قائلًا:

- هل تعرفني يا حاج رياض؟

- أشعر أنني أعرفك لكن لا أستطيع التحديد.

- إنني أعرف أني قد تغيرت كثيرًا لكن هل تذكر الفلاح الطيب «أبو أحمد» وابنه أحمد وقرية... أنا أحمد.

- نظر الحاج رياض بفرح شديد، وتصفح وجهه جيدًا وجمع ملامحه الصغيرة التي كبرت وعانقه بحرارة وبكى الحاج رياض فرحًا بأحمد.. وتذكر في هذه اللحظة كل ما حدث... مرحبًا بابن أخي كيف أخبارك ووالدتك الكريمة؟، الحمد لله أنك تذكرتني بعد هذه السنين فلتدخلا معي إلى الديوان حتى ينتهي الصلح ونخرج إلى المنزل «حسن يريد أن يقول شيئًا لكنه لا يستطيع لاحظ الحاج رياض اضطراب حسن».

«لا بد أن شيئًا مهمًا يشغل حسن لا يريد التحدث فيه أمام أحمد فهو لم يعتاده هكذا».

الأمر قد يخص أحمد فطن الحاج رياض هذا، يدخل إلى الديوان يمسك عصاته، يتجه إلى داره، ينادي أبناءه، ويخبرهم أن هذ أحمد الذي حكي لهم

عنه وعن والده ووالدته.

الأبناء يجلسون متلهفين حول أحمد، فرحين به يودون لو وضعوه على رؤوسهم.

الحاج رياض يستأذن في الذهاب مع حسن ليطمئن والديه وإخوته ثم يعودان بسرعة.

يخرج الحاج رياض مع حسن وعندما ابتعدا قليلًا عن المنزل سأل حسن ما بك؟

- إنها مصيبة.

- ماذا حدث؟

- «يصمت لا يعرف كيف يبدأ».

- تكلم ولا تقلقني أكثر من هذا.

- تعلم قصة عمي.

لا داعي أن تكمل، عرفت ما تقصد جلس الحاج رياض على الأرض متعجبًا... وقف منتفضًا كالمجنون وقال لحسن فلتذهب إلى أحمد كي لا يتسرب إليه القلق، وارتديا ملابسكما العسكرية فقد تقضيان إجازتكما في عمارتي بالمدينة ومعكما أبنائي.

- طالما الموضوع هكذا فلماذا لا تأتي لنا بسيارة تأخذنا من أمام المنزل؟

- أما تعرف أن السيارة لا طريق له إلا من أمام منزلكم بهذا سيشعر والدك بما نفعل؟

- لكننا سواء بالسيارة أو على الأقدام سنمر أمام منزلنا.

- سنخرج من الطريق التي لا تسير عليها السيارات.

- وهذه تمر خلف منزلنا وإن كانت أبعد قليلًا.

- لهذا قلت ارتديا زيكما العسكري فحينما يراكما أبوك لن يحقق بالضبط أيكما هو... فيتراجع.

سأذهب إليه قد يقتنع بالحق، اذهب أنت إليهم.

دخل الحاج رياض متغير الملامح، يدق الأرض بعصاه، ووجده ينظف بنقديته، وقبل أن يسأله بادره مجيباً لعلمه بالسؤال «منذ فترة كبيرة لم أقم بأي صيانة لها وخفت على خرابها».

- لعل شيئًا مهمًا قد ذكرك بها.

- ماذا تقصد؟

- الذي فهمت.

- لم أفهم شيئًا.

- لا بد أن تفهم أنه ليس كل شيء ببساطة هكذا.

- آهة .. تخرج من قلبه .. «أخبرك الغبي».

- نعم أخبرني.

- وقد أخبرك الصدق.

- فكر في الأمر «الموضوع انتهى منذ أمد بعيد».

- لكل الناس إلا أنا.

- ولكن هل تدرك العواقب الوخيمة التي ستحل علينا لو لمح خيالك بذلك؟

- ليس تلميح خيال بل اتخذت القرار.

- ومن تقتل؟ هذا الغريب الوحيد ماذا جنى؟ ولنتكلم بصراحة ماذا كان يفعل أخوك حينما قتلوه؟... أجبني ولا تراوغ .

يصمت وينظر حوله بعينين هاربتين:

- قتلوه وهو سارق يحمل جريمته، والسلاح بيده وقد هدد كل من اعترضه بالقتل ماذا تريد منهم أن يفعلوا؟

- لكنهم قتلوه.

- غيرك يتبرأ منه لفعلته.

- إنه أخي.

- لم نقل شيئًا لكنه عنصر تالف يجب استئصاله.

- بل كان يجب إصلاحه.

- ومن يستطيع إصلاحه فقد سجن قبل ذلك عدة مرات ولم يهتد.

- بل كنا سنصلحه أنا وأبوه.

- لم تستطيعا ذلك حينما كان صغيرًا فكيف به وقد أصبح السجن داره.

- لعل الله كان سيهديه.

- لا يغير الله قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

- يضع البندقية جانبًا ثم يقف قائلًا:

- بل كنت سأصلحه.

- هذه حجة لنفسك كي تقنعها بالباطل، أرجوك لا داعي لإراقة الدماء على الباطل.

- ليس باطلًا بل حقي وأنت بنفسك قلت قتلوه.

- مندهشًا «قلت كثيرًا ولم تعجبك غير هذه الكلمة».

- نعم.... لا داعي للجدال معي.

- افعل ما بدى لك.

- سأفعل وسترى.

يخرج الحاج رياض وهو يغلي، لكنه ماذا يفعل وبينهما قرابة ونسب؟ فليخرجوا الآن من القرية إلى عمارته، بالمدينة لعل حسن والأولاد قد أقنعوه بحيث لا يشعر بشيء.

«المدينة أفضل لقضاء إجازة سعيدة وقد يعودوا في نهاية الإجازة إلى هنا».

الحاج رياض... حسن... أحمد... ابنا الحاج رياض كلاهما يحمل بندقيته شيء من القلق والخوف لازمه، منذ إن كان بالنادي... لم يظهر شيء... الكل قلق الكل واضح، عكس ذلك مروا خلف المنزل لا شيء.

بدأوا يطمئنون بعض الشيء... يتجاذبون أطراف الحديث، مشوا مسافة... المنزل خلفهم بمسافة كبيرة لحظات تمر ثقيلة كأنها كومة من الحديد على صدورهم، ابتعدوا عن المنزل تمامًا... اختفى... اطمئنوا

وضعوا بنادقهم على أكتافهم، لحظات تمر... خرجت من بين الزروع طلقة سكنت رأس حسن... وقع... الكل يصرخ رفعوه حاولوا نقله إلى المنزل... مات غطوا وجهه.

دخلوا به وضعوه على الأرض، أمام أبيه الذي مازال ينظف بندقيته... كشف وجهه للاطمئنان... الكل ينظر إليه... الابن الكبير يصرخ حسن « أخي حسبنا الله ونعم الوكيل» الأب غاب عن وعيه... وحسن قتل... مات... الأب الابن الكبير قلت له... «وما ربك بظلام العبيد» صدق الله العظيم.

« أحمد في حالة من الذهول، يبكي صديقه الذي مات... بل قتل ظلمًا... وهو المقصود، كل هذا وهو لا يدري.. ربما أخطأت الرصاصة كما أخطأت... وكثيرًا ما تخطئ فتظلم ولا تشعر فتقتل ولا تندم.

***

الأستاذ

- يا اااه .. أستاذنا .. أنا بحلم ؟!

- يبتسم الأستاذ .. لا يا سيدي مش بتحلم .. أنا الأستاذ بشحمه ولحمه .

- تصدق يا أستاذ؟

- لما أسمع الأول.

فعلًا ما كنت أتوقع إني أشوفك وخصوصًا في وسط زحمة مصر والملايين اللي فيها.

- "مبتسمًا باستعلاء ": عادي هتشوف ناس مهمة كتير بالصدفة.

- إن شاء الله يا أستاذي.

- أستاذك؟! هو أنا درست لك ولا إيه؟!

- يا ريت.. لكن احنا بنقول كدة من باب الاحترام والتقدير..

وحضرتك سيد من يُقدر.

- شكرًا.. لكن أفضل أن تقول لي يا أستاذ.

- أحسن من أستاذي.. مش أحسن ولا رأيك إيه؟

- وهو فيه رأي بعد رأيك يا أستاذ.

- احمر وجهه خجلًا من الموقف وخصوصًا أنه أمام اللجنة المدعوة لتقييم القصص القصيرة التي ستقدم إليهم. (معتذرًا) آسف يا أستاذ واعذرني لأن فرحتي زادت عن الحد، واعتقدت أنه من الواجب أن أعبر لك عن احترامي الشديد، وإعجابي بكتبك ومقالاتك.

- أشكرك.

- عمومًا يا أستاذ أنت في بلدنا وإن احتجت أي شيء أنا موجود.. في خدمتكم.

- (ساخرًا) وأنت تشتغل إيه؟!

- نسيت أعرفكم بنفسي.. أمين الديب.. موظف بمجلس المدينة.

- موظف إيه؟

- إداري.

– الله يعينكم على رواتب الوظائف دي.

– الحمد لله مستورين وتمام.

– أنا سمعت أنكم رفضتم الإقامة في فندق، وخصوصًا حضرتك صممت على الإقامة في شقة متواضعة، ويسكن معك أفراد اللجنة التي شكلتها وقدموا معك.

– هذا صحيح.

– وهذا يدل على تواضع شديد.

– شكرًا.. لكن احنا لما بنروح مكان مش بنحب نكلفهم، أو يبقى دمنا تقيل.

– بالعكس يا أستاذ أي حد بيستضيفكم بيتشرف بيكم وبيكون عامل حساب التكاليف دي.

– أنا طبيعتي كدا.

– والله طبيعة ممتازة.. لكن الإنسان ما يضيقش على نفسه.. الفندق أكيد أفضل من شقة زي دي.. وحضرتك مقامك كبير.

– عشان مقامي، لازم أبقى محجوب شوية عن العامة وأنت عارف الفنادق كلها ناس بمجرد ما يشوفوك عاوزين يتصوروا معاك ويحكوا..

ناس مش بتتعب من الكلام يا أمين.

– والله اللي تشوفو يا أستاذ.

– أنت أدرى بالناس مني ومن غيري، فعلم حضرتك، وثقافة حضرتك، ووضع حضرتك الاجتماعي، والوظيفي، يخلوك أعلم مننا.

– ماشي ماشي يا أمين.. أنت متجوز يا أمين؟

– لسة.

– آه.. عشان كدا أنا شايفك كدا، عينك على الصحفية نيفين، من أول ما شفتها بالمطار.

– محرجًا .. لا .. لا.

– تركيزك فيها غير طبيعي.. أثناء كلامها أو تحركها أو حتى...

– مقاطعًا، ليس كما تظن يا أستاذ.

– مبتسمًا بسخرية: خد راحتك يا أمين إحنا في بلدكم.

– عشان كدا .. لا بد أن نحترمكم.. يا أستاذ.

– هه هه هه.. واضح.

– تدخل نيفين عليهما.. يتحرك أمين خارجًا.

- تنادي عليه، ينظر إليهما الأستاذ، يذهب أمين مترددًا ..

-نعم يا آنسة نيفين.

- بيحكوا إنك بتكتب قصة وخواطر..

- صحيح .. لكن مفيش مجال، الوقت ضايع بين الشغل والأرض والمشاكل وشوية لعب.

- تضحك نيفين يتأملها خلسة، ويبتسم الأستاذ أنت بتلعب؟ مش باين عليك..

- ليه هو اللي بيلعب مكتوب على جبينه لاعب ولا إيه؟!!

- لا .. بس شكلك جد أوي.. وصارم شوية.

- عمومًا.. يا ريت تجيب لي قصة من قصصك.

- أنا نشرتهم قبل كدة.

- خلاص.. اجمعهم في كتاب، طالما إنها هوايتك وإنك شايف نفسك ممكن تبدع.

- والله يا آنسة نيفين بحاول أقرأ.. قدر الإمكان.

- ينادي عليه الأستاذ .. يذهب أمين باحترام.

- نعم يا أستاذ.

- متهيأ لي، إنك عارف برنامج الندوة ...

- نعم إن شاء الله اليوم ترتاحوا وبكرة من الساعة سبعة إلى الساعة تسعة مساء محاضرة من حضرتك.. وطبعًا القصص اللي دخلت إلى اللجنة أرسلناها على حضرتك من شهر تقريبًا.

- صحيح .

- وبناء عليه، بعد بكرة إعلان القصص الفائزة ورأي اللجنة وتزكيتها للقصص اللي يتم نشرها في صحيفتكم .

- وبعد كدة نخرج أنا والكُتَّاب الصحفيين اللي معايا، نشتري شوية حاجات من المدينة.

- لو أنتم مش عارفين الأماكن اللي فيها الحاجات اللي عاوزينها أروح معاكم يا أستاذ.

- هه هه هه .. مفيش شيء احنا ما نعرفهوش يا أمين.

- آسف يا أستاذ.

- يبتعد قليلًا أمين عنهم.

- يا أستاذ.

- عاوزة إيه يا نيفين؟

- أمين بيكتب قصة كويس، أنا قرأت قصة من اللي نشرهم وليه إبداعات تاني كتير، حاول تنشر له أي شيء، قصة خاطرة، وأنت شايف أنه مش مخلينا محتاجين شيء رغم أن حضرتك مش هاضمه خالص .

- يا نيفين أنت عشان بيبص عليك ومركز في عيونك كل لحظة تتكلمي فيها.

- محرجة، لا والله يا أستاذ .. أمين مؤدب جدًا ومحترم ومش بيحاول يجرح أي حد.

- غصب عنه .. يا آنسة.

- وإيه اللي يغصبه.

- أقولك يا ست نيفين.

-أمين موظف في مجلس المدينة واللي بيقوم بتكاليف الندوة من أثرياء المدينة، و أنت عارفة الناس الزمن ده بتخاف ما تختشيش.

- قصدك إيه؟

- غصب عنه لازم يحترمنا لأنه سيستفيد من رجال الأعمال.

- والله أنا حاسة أنه إنسان مهذب، وبيحاول يكون إنسان معانا.

– يا بنتي النوعيات دي من البشر ممكن تذل نفسها لمصلحتها المادية.. الفايدة بتاعته أكيد أنه يستأجر عدد من الشقق ويؤجرها لنا وللناس اللي جاية تحضر الندوة وهو يستفيد بالفرق.. فهمتي.. ولا لسه ؟

– دا ميمنعش إنه ابن ناس.

– قلت لك غصبًا عنه.

– والله يا أستاذ .. أنا مش عارفة ليه أنت واخد الفكرة دي عنهم، رغم أن كلهم بيعاملونا بذوق واحترام وخصوصًا أمين اللي واخدك قدوة له في كل شيء.

– أنا مصمم أنهم متسلقين وسأثبت لك كلامي.

– ينادي ساخرًا يا أمين.

– نعم يا أستاذ.

– الليلة احنا خارجين نشتري شوية حاجات.

– لو عاوزيني معاكم يبقى لي الشرف.

– طبعًا.

– يصمت أمين.

- وبعد صلاة العشاء يصحبهم أمين في جولة داخل المدينة.

- رأى أمين الأستاذ يحمل عدة أكياس وهو يرى الشعر الأبيض.. لا بد أن يحمل عنه بعضًا منها.. أمسك أمين ببعض الشنط البلاستيكية التي يحملها من يعتبره أستاذه.

- وهنا قالت نيفين.

- شفت يا أستاذ الأخلاق العالية.

- مش عاوزه تفهمي إن الناس بتبقى مبسوطة لما تخدم حد في مكانتنا.

- معلش يا أستاذ اللي أعرفه أن كرامتهم لا تسمح أن يذلوا نفسهم في خدمة أي أحد.

- يا نيفين.. دول بيخدموا الأستاذ.

- اللي هم بيحلموا يشوفوه ... بس يشوفوه.

- ويسرع أمين الخطوات.. ينادي على نيفين مستأذنًا الأستاذ.

- الأستاذ يغمز لنيفين: اتفضل يا أمين.

- يبتعدان عن الأستاذ .. ممكن أسألك يا آنسة نيفين وتجاوبي بصراحة؟

- نيفين: أكيد طبعًا.

- أمين: هل الأستاذ بيتعامل كدة مع الكل؟

- نيفين: تقصد إيه؟

- أمين: المعاملة بالعنجهية والكبرياء.. هل مع الجميع ولا ناس ناس؟

- نيفين: ناس ناس.

- أمين: إزاي؟

- نيفين: شوف يا أستاذ أمين أنا هقولك حاجات عن الأستاذ، لكن يا ريت، تبقى سر بيننا.

- أمين: تأكدي أن سرك في بير.

- نيفين: قدوتك يا سيدي، مغرور جدًا ومتكبر بس لو عرف إن لك واسطة أو إنك تعرف حد مهم.. يبقى زي القط معاك إحنا كلنا عارفين كدة لكننا بنخاف منه لأنه عارف إن مفيش معانا واسطة. فيقدر يعمل معانا اللي يقدر عليه من العقاب.

- أمين: للدرجة دي؟

- نيفين: وأكثر.. أنت شفت حاجة؟

- أمين: أنا حسيت بكدة لما كنتم بتتكلموا عني، أنا سمعت كل حاجة.. وأشكرك فعلًا أنت إنسانة وبنت ناس.

– نيفين: شكرًا.. وأقولك الأستاذ هنا أفضل بكثير من لما بيكون في مكتبه، صعب حد يتفاهم معاه، أو حتى يجادله حتى لو كان على خطأ.

– أمين: صدقيني حاولت أكدب نفسي لما شفت الأسلوب اللي بيتعامل بيه مع البشر – معقولة .. هو ده الأستاذ .. اللي أنا كنت عامله مثل أعلى .. هو ده؟!

– نيفين: أستاذ أمين يستحسن أن يكون القدوة أحد الفضلاء الذين تثق بهم لأنك عرفتهم عن قرب أو تثق فيهم، مش أي حد تعجبك كتاباته أو صوته في الإذاعة أو ملامح وجهه في التليفزيون يبقى قدوة.

– أمين: أعلم والله، لكن الإنسان في بعض الأحيان ممكن يتغش في إنسان ويظن أنه من الناس، اللي تصلح قدوة، لازم تعرفي أن أغلب الناس قدوتهم سيد البشر سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، ثم أحد صحابته الكرام أو شخصية من عظماء المسلمين.

– نيفين: كلنا نعرف الطبيعة المتدينة لأهالي الريف عمومًا.

أمين: نرجع للأستاذ عشان ما يقول تأخرتم عليّ.

نيفين: صحيح، وده من ذوقك.

أمين: شكرًا.

يعودان إلى الأستاذ، ينظر إليهما، الوقت ده كله مع بعض وأنا موجود هنا.

– متأسفين يا أستاذ لكن الكلام أخدنا.

– ماشي يا سيدي والله مش عارف نيفين تلميذتي إزاي قادرة تتفاهم وتتواصل معاك مش عارف والله؟

– تصمت نيفين محرجة وتنظر في إحراج إلى أمين.

– أمين: وليه يا أستاذ مش هتعرف تتفاهم معاي؟

– "بتبجح" أنت راجل إداري في مجلس المدينة يعني يا دوبك دبلوم .. ولهجتك قافلة زيادة أنا مش عارف ازاي اللجنة المشرفة اختاروك عشان تبقى المرشد بتاعنا.

– للأسف يا أستاذ أنا اللي طلبت عشان عرفت أنك في اللجنة.. وأنا اللي عرضت اسمك عليهم في بداية الفكرة .

– للأسف ليه.

– عشان خيبت ظنك يا أستاذ.

– يضحك الأستاذ .. والله صحيح.

– يضحك أمين بطريقة هستيرية تغيظ.

- الأستاذ.. فينظر متعجبًا.. أنا قلت نكتة ولا إيه؟

- أمين: (بتعقل) يا أستاذ أنت ضيفي.

- يقاطعه بحدة .. ضيفك أنت؟

- يصمت أمين .. لا .. لا .. أقصد ضيف البلد.

- الأستاذ .. أنا ضيف صاحب الندوة الراجل اللي أرسل لي دعوة باسمي وباسم الناس دول اللي أنت شايفهم.

- أمين: عارف والله، عشان كدا أنا بقول أنك ضيفي لأني واحد من البلد.

- الأستاذ: متضايقًا وحضرتك بتتكلم باسم البلد ولا إيه؟

أمين: لا مش قصدي كدة، أنا ..

- يقاطعه بحدة .. لا أنا ولا أنت ..كل واحد يحفظ مقامه ويعرف قدره .. وتاني مرة تتكلم على قدر حجمك.

- ويتركهم الأستاذ ويتجه إلى مكتبه.

.....

وبعد أن أجمعت اللجنة على رأيها في القصص التي تم تقديمها إليها.

- بدأت الصالة في استيعاب الجمهور من المثقفين وأصحاب الأعمال والميكروفونات يرتفع صفيرها، والفني يجري مسرعًا لاكتشاف العيب.

- يدخل عريف الندوة ومن بعده الأستاذ واللجنة.

- يبدأ العريف في الحديث بقوله أردنا أن تكون ندوتنا هذه تماشيًا مع الحداثة في كل شيء حتى في أسلوب التقديم، وهنا أعطى الميكروفون لأستاذ الجميع ليقوم بالتعليق على الكتابات الأدبية التي قدمت إليهم ويعلن اسم الفائز بأفضل قصة قصيرة.

- يصول الأستاذ ويجول في عالم الأدب والجمهور منبهر بالأستاذ والمعلومات التي يسمعها لأول مرة، والطريقة العبقرية في شرح كيفية اختيار القصة الفائزة، وكذلك أفضل عشر قصص والتي ستحظى بالنشر في الجريدة التي يرأس تحريرها الأستاذ.

ثم يمسك العريف الميكروفون، ويشكر رجل الأعمال عاشق الأدب أمين الديب لأنه هو الذي تكفل بكل شيء يخص هذه الدعوة من الألف إلى إلياء، حتى أنه عندما رفض الأستاذ الإقامة في أحد الفنادق هو واللجنة قام الأستاذ أمين باختيار أفضل شقة في إحدى عماراته الفخمة، وأسكن بها الأستاذ وكذلك نشكر تبرعه بالجائزة وجميع ما يلزم..

- وما أثار إعجابي حقًا هو رفضه ذكر اسمه بأي شكل من الأشكال ومن شدة عشقه للأدب قام بمرافقة اللجنة في كل تحركاتها دون تعريفهم بنفسه.

– كان الأستاذ أمين محرجًا من كلام عريف الحفل، إلا أنه حاول كتمان إحراجه ووقف كي يحيي اللجنة على مجهودها ويقوم هو ورئيس مجلس المدينة بتوزيع الجوائز. أمسك الميكروفون ثم قال: أشكر الأستاذ الذي سمح لي بأن أعرفه عن قرب، كنت سعيدًا وأنا أقرأ مقاله الأسبوعي، أو أسمع أن له كتابًا نزل إلى المكتبات، فهو قدوة بعمله وأخلاقه.

– ينظر الأستاذ محرجًا.

– فمنه عشقت الأدب وعرفت قيمته ... والأستاذ غير مصدق أن هذا هو أمين الديب، الذي كان يرافقهم في كل حركة داخل المدينة.

أستاذ .. أنت قدوة لجيل بكامله، قدوة لأجيال .. تنظر نيفين مبتسمة متفاجئة يسألها الأستاذ هو ده أمين .. نعم هو بشحمه ولحمه، يبتسم الأستاذ في ذهول من هذه الأخلاق.

– تعلمنا منك الكثير يا أستاذ .. وستبقى قدوة.

– هنا يقف الأستاذ (فجأة) ويمسك بالميكروفون أشكر الأستاذ أمين .. الذي اعتبرني قدوة له وهو لم يعرف أنه في هذه اللحظة علمني الكثير، علمني التواضع والارتقاء والسمو .. أنت القدوة يا أستاذ أمين.

– فالقدوة أولًا .. وأخيرًا .. أخلاق.

***

ساحر الموت

يحمل حقيبته التي أهداها له ابن خاله في آخر رحلة إلى الخليج "يسأل في طريقه عن منزل الحاج أحمد (أبوحسن) تتعثر قدماه كل خطوة وأخرى فهو لم يعتد المشي على مثل هذا الطريق.

بداية فصل الشتاء الوقت يقترب من الظهيرة، والشمس ساطعة وتناسق النخيل على جانبي الطريق، وأشجار الكافور العالية والتي تجعلك كأنك تمشي بين جبال شاهقة من الاخضرار، وأطفال من حوله يمرون بسرعة على حميرهم يتسابقون، صوت سيارة من بعيد قادم خلفه، يبتعد إلى جانب الطريق، منزل رابض في مدخل القرية، يخرج منه كلبان مسرعان إليه، كأنهما ينويان افتراسه، ينادي عليهما طفل صغير، فيعودا إليه مسرعين، وهنا يقول له صاحب الكلبين كأنك غريب؟

حمدان: أي والله ...

وينادي الطفل الكبير على أحد إخوانه ليستمع معه إلى الغريب

ويعرف أين وجهته ليرشده، ويقول الطفل الكبير:

معلش قاطعتك يأستاذ ...

حمدان: ولا يهمك، أنا جاي لبيت الحاج أحمد.

الطفل يرد بسرعة – الحاج أحمد أبوحسن؟

حمدان: وازاي عرفت؟

الطفل: إحنا هنا في أول البلد، وناس كتير بتيجي تسأل عليه.

حمدان: البيت قريب ولا بعيد؟

الطفل: خلاص .. أنت مش محتاج دليل.

حمدان: وازاي؟

الطفل: تاخد نفس طريقك ده، وأول لما توصل ساحة واسعة فيها أطفال بيلعبوا تسألهم.

حمدان: وبعدين؟

الطفل: ولا قبلين، تبقى وصلت.

يبتسم حمدان شاكرًا للطفل الكبير صنيعه ومُلَوِّحًا إليه بيده، ويتجه إلى داخل البلدة ...

تَجمُع جميل من الأطفال، بألعابهم المختلفة يتسابقون إليه ليسألوه عن وجهته.

حمدان: عاوز بيت الحاج أحمد (أبوحسن).

جرى أحدهم أمامه، ليرشده إلى المنزل الذي يريد، وجرى الباقون خلفه.

أشاروا إلى أحد المنازل، ثم عادوا جميعًا مسرعين إلى مكان لعبهم.

دق الباب ..

خرجت إليه، ثم عادت مسرعة لترد عليه من خلف الباب بعد أن أحست بأنه غريب.

حمدان: أسأل عن الحاج أحمد ....

هل هو موجود؟

هيفاء: نعم . لكنه خرج للصلاة وسيعود بعد شوية فجأة تسمع صوت أبيها قادم، تشير إليه هذا هو الحاج أحمد، وتدخل رأسها مرة أخرى.

يسلم عليه، تفضل يا ابني، أدخل ..

حمدان: من دون أن تعرف أنا مين، أو جاي هنا ليه، أو ...

أبوحسن: مبتسمًا، تفضل يا ولدى ...

يمسك بحقيبته، ويدخل إلى المنزل فيسأله أبو حسن:

أبو حسن: أنت غريب ياولدي؟

حمدان: غريب ياعمي ... نعم ...

أبو حسن: وجاي تسأل عن مين؟

حمدان: عن الحاج أحمد ...

أبو حسن: إذن أنت ضيفي فتدخل وتأخذ واجبك وتستريح وبعد كدة نحكي براحتنا .. ولا رأيك إيه؟

حمدان: والله نعم الرأي والتصرف والأخلاق ... و ..

أبو حسن: الله يسلمك يا ولدي لكن هو ده الصح وأي واحد غيري، كان هيتصرف كدة ...

يدخل حسن ويسلم على الضيف ويجلس بجانب أبيه، تنادي عليه أخته فيعود مسرعًا بثلاث أكواب من الشاي ...

شعر حمدان بأنه بدأ يستريح من عناء مشوار طويل وكأنه قد وصل إلى نهاية رحلته، يريد أن يتحدث ولكن أبو حسن أراده أن يستريح حتى يجهز الغذاء وفعلًا لحظات قليلة وتناولوا غذاءهم وشربوا قهوتهم ...وهنا بدأ

حمدان قائلًا:

أنا مدرس تاريخ تخرجت منذ عامين وجاء تعييني في بلدكم، فأرسلني خالي إليك يا أبو حسن.

يبتسم أبو حسن قائلًا: وقبل أن نعرف مين خالك... اسمك إيه؟

حمدان: حمدان حسين.

أبو حسن: عاشت الأسامي يا أستاذ حمدان، ومين خالك؟

حمدان: حسن السبع.

فجأة يقف أبو حسن ويسلم بحرارة شديدة على حمدان. احكي لي عنه، كيف حاله طمني على عشرة عمري يا ولدي.

حمدان: بخير... والله الحمد لله بألف خير.

أبو حسن: يااااااااه.. وحشنا والله لم نتقابل منذ وفاة جدك يرحمه الله – كان دايمًا يوصيه علينا... رحمة الله عليه.

حمدان: الله يرحمه... فترة طويلة صحيح يا أبو حسن.

أبو حسن: يهز رأسه..... لهتنا الدنيا يا ولدي.

يخرج حمدان من حقيبته الكبيرة بعض الخطابات ويسلمها لأبو حسن

الحاج أحمد – الحاج شاهين – هيفاء.

يبتسم أبو حسن... والله فيه الخير طول عمره.

أصيل.. أصيل، وفيه الخير... والله... والله كنا دايمًا مع بعض، وقلنا واتعاهدنا إن لازم نوطد علاقتنا بحيث تزيد ما تنقص، لكن الظروف بتبقى أقوى من الإنسان وهي اللي عجزتنا.

حمدان: والله بيسلم عليكم ومشتاق يشوفكم لكن زي ما قلت يا عمي ظروف الإنسان.

أبو حسن: خلاص يا حمدان يا ولدي هنسيبك تستريح وبعدين نكمل كلامنا.

حمدان: أنا مش تعبان، خليكم معاي عشان حتى أعرف فندق قريب أو أي مكان لسكن المغتربين.

يضحك أبو حسن فجأة على كلام حمدان، يتعجب حمدان.

أبو حسن: أنت جاعل نفسك فين يا أستاذ؟

أنت في بلد صغير لا فيها فندق ولا دياولو.

حمدان: والحل يا عمي؟

أبو حسن: يا ولدي خالك لما قال لك تروح بيت عمك أبو حسن هو

عارف كل شيء، وواثق بأنك هتشعر بأنك في بلدكم... كلامي واضح ولا أنت عاوز خالك يزعل مننا؟؟

حمدان: أنا؟!! ثم يصمت حمدان ويحاول أن يكمل حديثه...

أبو حسن يقاطعه: أنت هتبقى معانا.

إن شاء الله عشر سنين، فاهم؟!، ويا ريت ما تفتح الموضوع ده تاني، لأن الكلام فيه من غير فايدة.

حمدان: لكن...

أبو حسن: ما فيش لكن... استريح الآن...

ويتركه لينام.

.....

وقبل آذان المغرب بقليل يأتي سليم وأبوه لمنزل الحاج أحمد لمجرد سماعهما ما قاله الأطفال عن قدوم أحد الغرباء إلى منزل أبو حسن.

دخلوا إلى المنزل وسلموا على الموجودين ثم بدأ أبو حسن يعرفهم ببعضهم.

أبو حسن: ده ابن أخت حسن السبع يا أبو سليم طبعًا أكيد فاكره.

أبو سليم: طبعًا.. طبعًا، وهو حد ينساه.

حمدان: شكرًا يا عمي الحاج.

أبو حسن: ده أبو سليم أخويا... وده ولده سليم.

حمدان: تشرفنا.

أبو سليم: احنا اللي اتشرفنا يا أستاذ... وينظر إلى أخيه وقد بدا عليه التعجب... أكمل التعريف يا أبو حسن.

أبو حسن: وأنا نسيت شيء؟

أبو سليم: طبعًا... أهم شيء.

أبو حسن: وهو إيه؟

أبو سليم: سليم يا أستاذ حمدان يبقى خطيب ابنة عمه... هيفاء.

حمدان: الله يوفقهم ويتمم على خير إن شاء الله.

أبو سليم: شكرًا يا أستاذ... هو أنهى دراسته ولسه التعيين لكن مستورين والحمد لله ونويت أزوجهم في نهاية هذا العام.

حمدان: إن شاء الله.

"شعر حمدان بقلق واضح من نظرات أبو سليم وكلامه ولكن تحامل

على نفسه ولم يظهر شيء... ولكن على العكس شعر براحة تجاه سليم فهو على ما يظهر إنسان مسالم طيب القلب، تحادثا طويلًا عن أيام الدراسة والجيش وعن فترات التعيين المؤقتة بالمدارس.

استمرت جلستهم طويلًا، شعر حمدان فعلًا بالتعب، استأذن أبو سليم وخلفه خرج ابنه مسلمًا على حمدان واعدًا إياه ببداية صداقة..

وعند ابتعاد سليم ووالده قليلًا لاحظ انزعاج والده... فلم يسأله... وسارا في طريقهما... عمك مش هيجيبها لبر.

سليم: ليه يا والدي؟

أبوه: أنت مش شايف اللي عمله؟

سليم: عشان الأستاذ حمدان؟

أبوه: والله هتعيش طول عمرك غبي، ما تفهم شيء، أنا مش عارفك جيت لمين.

سليم: يا والدي... نصبر شوية ونشوف إيه اللي هيحصل هيخليه عنده ولا يوديه في البيت التاني ولا؟

أبوه يقاطعه: تصدق أكتر حاجة ندمت عليها في حياتي.

سليم يصمت لأنه يعرف هذه الإجابة.

أبوه: إني خلفتك.

تسقط دمعة من عين سليم ولكن دونما فائدة.

ينظر إليه... أنا كل اللي بعمله ده عشان مين؟

سليم:.....

أبوه: عشانك أنت ولا مش عارف.

سليم: عارف... وربنا يخليك لينا.

أبوه: خلاص طالما أنت مقتنع نحاول نفهّم عمك أنه لازم...

سليم: معلهش... أنا عارفك هتقول إيه، لكن أنا رأيي....

أبوه يصرخ: ومن متى بتقاطعني وتقول رأيك؟

سليم: أول مرة وآخر مرة.... بس اسمعني الله يخليك وما تزعل مني

أبوه: وإيه اللي هيزعلني منك يا قدري.

سليم: رأيي ما نفتح عقل عمي على إن احنا مهتمين بالأستاذ حمدان، وزي ما أنت عارف، هيفاء متعلمة ومثقفة ومش عاوزها تفتكر إني قارنت نفسي بحمدان وما يقولوا إني غاير منه... وأنت عارف كلام الحريم.

أبوه: على العموم هنصبر على عمك بس بكرة وأكيد هو هيتصرف

معاه... ونشوف.

سليم: اللي تشوفه يا والدي.

أبوه: طبعًا اللي أشوفه... ما هو أنا اللي هتجوز هيفاء... والله يا ولدي دمك بارد... بارد صحيح.

سليم: عشان خاطر ربنا كفاية تقطيم.

ينظر إليه باحتقار ويذهب.

.....

أبو حسن: أنا ذاهب معك إلى المدرسة... أنت عارف مين مديرها؟

حمدان: لأ....

أبو حسن: يبتسم... خالك ... الحاج شاهين.

حمدان: اللي خالي بعت له جواب.

أبو حسن: أيوه يا أستاذ... وهو الثالث بتاعنا... كنا الثلاثة لا نفترق.

حمدان: لكن يا عمي لا تتعب نفسك.

أبو حسن يقاطعه: يا ولدي أنا أصلًا.. أصحى يوميًا قبل صلاة الفجر أصلي وأبقى صاحي لما تطلع الشمس وأبتدي أقضي مشاويري المهمة

الصبح بدري.. فإن شاء الله بكرة الصبح أروح معاك.

حمدان: والله مش عاوز أتعبك.

أبو حسن: لا يا ولدي... هاتعب لو رحت أنت لوحدك المدرسة.

حمدان: خلاص يا عمي.. اللي تشوفه.

أبو حسن: يا ولدي خالك لما بعتك لنا عارف ومتأكد إننا هنقوم بالواجب فما تشغلش بالك ولا عاوزني أزعل منك؟

حمدان: لأ... أرجوك يا عمي أنا مش كد زعلك... براحتك..

وفي الصباح يتجهون ثلاثتهم إلى المدرسة، وبدأ حسن يتعرف على الأستاذ حمدان.

حسن: أنت هتدرس سنة كام يا أستاذ؟

حمدن: لسه يا أبو علي.

حسن: يعني... ممكن... ممكن؟!

حمدان: أول شيء... أنت في سنة كام؟

حسن: الأول الإعدادي.

حمدان: أكيد هادرس لكم.

حسن: تصدق يا أستاذ، رغم أني أحب التاريخ إلا إن الأستاذ بتاعه كرهنا فيه، وفي كل شيء، حتى في اللغة العربية.

حمدان: إن شاء الله اطمئن يا أبو علي هتحفظ التاريخ كله، وهتحب اللغة العربية.

حسن: ربنا يسمع منك يا أستاذ.

يقتربون من المدرسة ويبدأ حمدان في تنظيم أوراقه استعدادًا للمقابلة، يشير إليه أبو الحسن، هذه هي المدرسة.

يتساءل حمدان: المدرسة جديدة يا أبو حسن ؟

يبتسم أبو حسن ويقول: عشان مش في المدينة تبقى مش جديدة؟!!

حمدان: لا والله، ما قصدت كدة... ولكن...

يقاطعه أبو حسن، مافيش داعي للشرح يا أستاذ أنا عارف قصدك إيه، وعلى العموم دي أقدم مدرسة في المنطقة وجددوها في إجازة العام الماضي وكما ترى، كأنها مبنية السنة دي، وإن شاء الله ترتاح.

وقبل أن يرن جرس أول يوم دراسي في السنة سلم حمدان على حسن وأوصاه على دراسته وذهب حسن إلى الزحام داخل فناء المدرسة وعندما رآهما مدير المدرسة قام من على مكتبه مسرعًا يعانق أبو حسن ويسلم على

ضيفه... وطلب منهما الجلوس.

أبو حسن: عشان اليوم أول السنة الدراسية وأنا عارف مشاغلك.

شاهين: مش مشكلة يا أبو حسن.

أبو حسن: على العموم... دا الأستاذ حمدان جاي يستلم التعيين في مدرستك.

شاهين يبتسم:... أنت الأستاذ حمدان؟

حمدان: نعم يا حضرة المدير.

شاهين: ينظر فجأة إلى أبو حسن... لكن عاوز أسألك.

أبو حسن: اسأل براحتك...

شاهين: الراجل ده أنا شفت أوراقه.... طبعًا مش من البلد... ولا البلاد اللي حوالينا.. إيه سر المعرفة دي؟

أبو حسن: يبتسم ابتسامه عريضة، عرفت اسم البلد اللي منها الأستاذ حمدان؟

شاهين: طبعًا.

أبو حسن: مش بيفكرك بحاجة...

شاهين يصمت مفكرًا....

أبو حسن: حسن السبع.

شاهين: أي والله.... نفس البلد.

أبو حسن: دا مش نفس البلد وبس... خاله حسن السبع... يقف الأستاذ شاهين ويسلم بحرارة شديدة على حمدان... سبحان الله... والله فيه الخير حسن، على طول مفتكرنا، خالك يا حمدان أكتر من أخ لنا... أكتر بكتير حتى أنا وعمك أبو حسن أسماء أولادنا حسن وحسن.

يبتسم حمدان وهو أولاده أحمد وشاهين... والله قصة جميلة بتاعتكم يا حضرة المدير.

على العموم يا أستاذ حمدان أنت كدة وصلت مكانك وإن شاء الله استلمت تعيينك وأيضًا الجداول كلها جاهزة للجميع، وأنا هعرفك بنفسي على زملاءك وإن شاء الله هترتاح معانا... هترتاح خالص.

حمدان: إن شاء الله يا حضرة المدير.

يقف الأستاذ شاهين مشيرًا إلى حمدان بعد أن طلب من أبو حسن البقاء لفترة بسيطة وسيعود إليه....

يخرج المدير مع حمدان متجهين إلى مكان طابور الصباح...

وبعد برامج الإذاعة المدرسية أمسك الأستاذ شاهين بالميكروفون ملقيًا على الأسماع خطبة حماسية مشجعة للجميع.

صوت الميكروفون يعلو، أصوات الموسيقى وأرجل الأطفال عندما يسيرون إلى فصولهم.

يعود الأستاذ شاهين إلى أبو حسن ويطمئنه على حمدان بعد أن أدخله إلى حصته الأولى.

يبتسم: شوف يا أخي، والله حسن ابن حلال صافي... لازم نروح له زيارة وفي أقرب وقت.

أبو حسن: خلي الموضوع ده نتكلم فيه بعدين، لكن أهم شيء خلي بالك من حمدان.

شاهين: وأنت عارف برضه اني محتاج توصيه؟!!

أبو حسن: لا... عفوًا، ولكن بفكرك لأني عارف مبادئك كويس.... الكل سواسية.

شاهين: وهو دا الصح، لكن حمدان موضوع تاني.

أبو حسن: على العموم لك خطاب أرسله حسن، وأفتكر أنه ما يعرف أنك مدير المدرسة اللي تعين فيها حمدان.

شاهين: هتبقى مفاجأة له.

أبو حسن: مفاجأة حلوة طبعًا... يضحكان.

شاهين: وخلي بالك أنا متوقع إن حسن ممكن يطب علينا في أي وقت يزورنا... ويشوف حمدان بالمرة ويطمن عليه.

أبو حسن: والله تبقى أحسن حاجة عملها حسن.

شاهين: أنا شايفك قلقان، روح شوف أشغالك ما تعطل نفسك أكتر من كدة وسهرتنا عندك اليوم.

أبو حسن: منتظرينك.

شاهين: اتفقنا.

يعود أبو حسن إلى بيته بعد اطمئنانه على حمدان دخل على زوجته وابنته، سألته هيفاء عن أخبار حمدان.

أبو حسن: استلم الحصة الأولى، يبتسم... عند عمك شاهين.

هيفاء: ورأيك يا والدي ممكن يرتاح في بلدنا؟

أبو حسن: والله يا بنتي... لو مثل خاله هيرتاح في أي مكان، أما لو كان من نوعية الشباب التعبان ممكن يطلب نقله من أول أسبوع.

هيفاء: وحسن؟

أبو حسن:الحمد لله، ربنا يوفق الجميع.

هيفاء: وحشتني أيام الدراسة يا والدي.

أبو حسن: يا بنتي الناس بتصدق ما تخلص الدراسة وأنتي عاوزه ترجعي تاني.

هيفاء: عشان حسيت إني تعليمي ما منه فايدة... وأنت مش موافق على التعيين.

أبو حسن : أنت محتاجة إيه؟

هيفاء: وهو كل اللي متعين محتاج؟ ناس كتير متعينة ومش محتاجة.

أبو حسن: أنا من الأول نبهت عليكي، عاوزة تتعلمي براحتك،إن شاء الله تحضري الدكتوراة... لكن تعيين... لأ....، ويوم جوازك من ابن عمك، عاوز يعينك كان بها، مش عاوز برضه ما يخصني.

هيفاء: ابن عمك، ابن عمك، والله مليت... هو خطبني... ولا اتكلم.

أبو حسن: يصمت.... يا بنتي متكلمين عليكي من زمان.

هيفاء: أنا كبرت وخلاص لما تكلموا عليا كان عمري كام سنة؟ وحتى لو وافقت وأنا طفلة لما أكبر وأعرف لازم تشاوروني تاني ومن غير

ما تشاوروني أنا مش موافقة على الجوازة دي.... لو خربت الدنيا.

أبو حسن: يصمت.

هيفاء: يا والدي أنت إنسان عارف ربنا، الكلام ده حلال ولا حرام؟

أبو حسن: يحاول التهرب من الإجابة. هو ابن عمك ناقصه إيه؟

هيفاء: مش ناقصه حاجة... لكن أنا مش عاوزة أشوفه.

أبو حسن: لكن لازم كلامك برضه يكون معقول.

هيفاء: هاقول كلام معقول... إيه رأيك في شخصيته؟

أبو حسن: طيب وابن حلال.

هيفاء: عشان كدة أنا مش عاوزاه.

أبو حسن: ليه؟.... الطيب عيب.

هيفاء: لما تكون بالشكل ده تبقى مصيبة وما ليها حل، شاب زي ده أبوه بيجره من اللجام، كأنه بلا عقل.

أبو حسن: بر الوالدين يا هيفاء.

هيفاء: مش زي كدة.

أبو حسن: أمال ازاي؟!

□□□

هيفاء: ما يلغوا شخصيته مهما كانوا، ولعلمك يا والدي مش هيتغير لأنه اتبرمج وماله حل، دا من وهو طفل سلبي بالشكل ده، أبدًا ما قال لأبوه... لأ.... في أي شيء ولو غلط وأنت عارف عمي.

أبو حسن: خلي بالك عمك ده... يبقى أخويا.

هيفاء: خلاص مش هاتكلم.

أبو حسن: اتكلمي براحتك زي ما علمتك من صغرك لكن دايمًا تراعي مشاعر اللي حواليكي.

هيفاء: تقبل رأس أبيها وتعتذر له... خلاص آسفة يا أبو هيفاء لكن حقي أتكلم على اللي بتقولوا عليه خطيبي... صح؟

أبو حسن: صح.... يا هيفاء.

هيفاء: الدراسة بتاعته... دخلها غصب عنه... كل خطوة بيخطيها أو يرجعها لازم أبوه هو اللي يرسمها له... صدقني يا والدي اللي زي سليم هايتعَب وهايتعِب أي واحدة هايتجوزها.

الأم: أنا مش بتكلم، لكن ابن عمك أي بنت تتمناه.

هيفاء: الله يخليكي يا أمي ما تقولي شيء.... أنا عارفة عاوزه إيه... وتبكي مسرعة إلى غرفتها.

ويبقى أبو حسن وزوجته واضعًا رأسه بين يديه مفكرًا ويتساءل: إلا صحيح يا أم حسن، أنا حاسس إني ظلمت البنت.

الأم: لا ظلمتها ولا شيء، إيه الظلم في جوازها من ابن عمها؟ اللي أي واحدة في البلد تتمناه.

الأب: لكن هي ما تتمناه.

الأم: لما يتجوزوا هيتعودوا على بعض.

الأب: يا أم حسن أيامهم غيرنا، اليومين دول اللي ما كانوا مقتنعين ببعض ما يتجوزوا، ولو تزوجوا هتتعبهم وتعقدهم في عيشتهم، لما يزهقوا ويطلقوا.

الأم: يا شيخ..... دا دلع بنات.

الأب: مش باين يا أم حسن، البنت مصممة واحنا عارفينها.

الأم: وناوي على إيه؟

الأب:مش عارف، لو تبعتها خسرت أخويا، وإن غصبت عليها، خسرت بنتي الوحيدة وبرضه خسرت أخويا وابن أخويا، وربنا يهديها وتغير اللي براسها.

الأم: خلاص .. أنت خلي الموضوع وما تفتح معاها كلام، وبعد فترة

تطلع إشاعة أن سليم تكلم على واحدة، وشوف رد فعلها.

الأب: لكن مين اللي تصدق عليها هيفاء إنه اتخطبت لسليم.

الأم: أي واحدة من اللي بيتردد عليهم كتير.

الأب: افرضي إنها اقتنعت أنه هم وانزاح... هنعمل إيه؟؟

الأم: نقول إن إحنا سمعنا الكلام سمع وما شفنا شيء... وبمجرد أن سمعناه بلغناها.

الأب: ما هي ممكن تلاقيها حجة أنه فعلًا بيتردد على البيت الفلاني وتبتدي تنغص عليه كل زيارة له هنا أكتر ما هي منغصاها.

الأم: والله البنت دي مش عارفة دماغها فيها إيه... هو التعليم بيخلي البنات زي كدة.

الأب: التعليم بيفتح العقل وينور التفكير، لكن هيفاء... مش عارف والله؟

الأم: والله شيء يزعل يا أبو حسن، ابن عمها رايدها تعمل فيه كدة.

الأب: يصمت.... تصدقي... رغم زعلي إلا أني مبسوط من البنت دي عنيدة زي أبوها... أنا واثق أنها هتصر على اللي براسها.

الأم: لا مش هي اللي مصرة... أنت اللي نويت تغير رأيك.

□□□

الأب: لأنه يعرف أن زوجته تعرف كل ما يجول بخاطره: صراحة يا أم حسن أنا فعلًا محتار ومش عارف أعمل إيه.

.....

يعود حمدان ممسكًا بيد حسن ويدخلان ليجدا الحاج أحمد في انتظارهما، ويبدأ أبو حسن بسؤال حمدان عن أول يوم له في البلدة؟

حمدان: دا أول يوم أحسبه في حياتي، مدرسة هيئة تدريسية، طلبة، دروس، صراحة يا عمي أجمل يوم في حياتي... وبالنسبة لعمنا الأستاذ حسن مستواه ممتاز، ولو استمر على كدة إن شاء الله هيبقى حاجة.

أبو حسن: الله يطمنك، وإيه أخبار عمك شاهين؟

حمدان: يااااااه... إنسان إنسان، معاملة مميزة للجميع، حتى زملائي لما شافوا أستاذنا شاهين كده، بقيوا يتعجبوا...

أبو حسن: لأنه صعب... لكن الحمد لله إنك انبسطت.

حمدان: أنا فعلًا مبسوط وسعيد، لأني في وسط أهلي.

أبو حسن: الحمد لله... احنا أهلك وناسك... دي عشرة عمر يا ولدي.

حمدان: الله يديمها عليكم... وتصدق يا عمي إن اسم بنت خالي

برضه هيفاء.

أبو حسن: يبتسم.... عارف يا ولدي... دا اتفاق ومحبة.

حمدان: لكن على أيامنا دي، صعب تتكرر حكايتكم.

أبو حسن: لا يا ولدي..... الدنيا كلها بخير إلى يوم الدين.

ينظر حمدان وكأنه يريد من أبو حسن أن يسرد له القصة ويعيدها مرات عديدة.

يلاحظ أبو حسن ذلك فيقول باختصار شديد... درسنا احنا الثلاثة مع بعض ودخلنا الجيش مع بعض وتعينا برضه مع بعض واتجوزنا مع بعض، طبعًا مش في نفس اليوم "يضحك حمدان" قررنا جوازنا يبقى بالترتيب الأسبوع الأول عمك شاهين، الأسبوع الثاني أنا، والثالث خالك علشان نقدر نجامل بعض ونقف مع بعض.

حمدان: جميل والله جميل، لكن عاوز أسأل سؤال .

أبو حسن: سؤال واحد بس.

حمدان: رغم دا كله ما شفتك ولا الأستاذ شاهين عند خالي؟

أبو حسن: أول شيء.... زمان كنت أنت لسه صغير، صح؟

حمدان: صح.... يبتسم.

أبو حسن: ثانيًا دراسة خالك والخدمة والتعيين لم يكونوا في بلدكم... صح؟

حمدان: كل كلامك صح يا عمي.

أبو حسن: يبقى هاتشوفنا ازاي؟ وانت ما كنت تشوف خالك.

حمدان: "ينفجر ضاحكًا" صحيح والله سؤال بايخ.

أبو حسن: يلا غير هدومك عشان الغداء، ولا تكون خلاص اتفقت مع مطعم "يضحكان".

وإلى أن يجهز الغذاء بدأ حمدان يرتب أغراضه التي بالحقيبة، ويخرج تسجيله الصغير الذي لا يفارقه في رحلاته منذ أيام دراسته، وأخرج شرائط الكاسيت التي أحضرها معه، أم كلثوم، عبد الحليم، فيروز، محمد عبده، عبد الكريم عبد القادر، نجاه، والكثير من الشرائط الأخرى.

.....

ينادي أبو حسن على زوجته وابنته وولده، اجلسوا، دا الأستاذ حمدان ابن أخت عمك حسن.

هيفاء: خالك عمي حسن.

حمدان: أيوه.

هيفاء: إيه أخباره، وليه مجاش معاك هو عارف البيت كان جه معاك وصلك، وسلم علينا وروح بعد كدة.

حمدان: والله هو بيسلم عليكم خصوصًا أنتي وهو صراحة حاليًا مشغول كتير في موضوع البنيان، ولسه الفرص جاية.

هيفاء: والله عمي حسن وحشنا – ويا ريت يا والدي نروح لزيارته.

أبو حسن: الكلام دا يا بنتي كان من الواجب قبل المدارس ما تفتح.

حمدان: خلاص يا عمي على إجازة نص السنة.

أبو حسن: يا ولدي كلنا عاوزين نزور خالك، لكن دلوقتي ماينفعش

حمدان: ليه يا عمي؟

أبو حسن: لأن الإجازة في البرد زي ما أنت عارف وحسن صدره بيتعب من البرد. صحيح هي مش بعيدة كتير لكن في الجو ده والبرد اللي احنا فيه تعتبر بعيدة، ثم إن خالك موجود مع عياله في شقة وبيبني في بيته، والشقة مش هاتتحمل العدد ده كله، خصوصًا إن عمك شاهين وعياله معانا.

حمدان: يا عمي أنا عارف كل ده، لكن احنا والحمد لله بيتنا واسع ولا فيه فرق بيني وبين خالي؟

أبو حسن: لا فرق ولا شيء، خليها براحتها، يكون خالك جدد البيت

ونبارك له بالمرة، وبرضه هنزوروا بيتكم... تمام كدة؟

حمدان: اللي تشوفه يا عمي.

يشعر حمدان أنه يريد أن يغير الموضوع فيتجه بناظريه إلى هيفاء وأنت بقى يا ست هيفاء، درستي إيه؟

هيفاء: آداب فلسفة.

حمدان: واتعينتي؟

هيفاء: في موضوع التعيين تسأل عمك أبو حسن.

يصمت ويشعر أنه أدخل نفسه في موضوع هو في غنى عنه فيشعر أبو حسن بالحرج البادي على وجه حمدان.

أبو حسن: أنا شرطت عليها يا أستاذ من الأول، قلت لها لو حضرت ماجيستير أو حتى دكتوراه مفيش تعيين.

حمدان: وأنتي وافقتي؟

أبو حسن: وافقت يا ولدي.

هيفاء: كنت مضطرة، عشان أتعلم.

حمدان: برضه مش حجة.

أحس حمدان أيضًا أنه أدخل نفسه في موضوع ليس من شأنه.

حمدان: صح يا عمي؟

أبو حسن: يسلم فمك، قلت الحق والله.

يتذكر أبو حسن شيئًا.... صحيح يا أستاذ قبل ما انسى الأستاذ شاهين جايلك اليوم... خلاص.

هيفاء: برضه طلعنا من الموضوع.

حمدان: ببريق مفاجئ... موضوع إيه؟

هيفاء: التعيين.

حمدان: الموضوع ده تناقشيه مع أبو حسن، فهو الوحيد اللي من حقه يحكم في الموضوع ده.

تبتسم هيفاء... لا.... دبلوماسي يا عم.

من هذه بدأت هيفاء تناقش مع نفسها شخصية حمدان كيف أجرى الحوار، وعندما شعر بحرج أخرجهم وأدخلهم إلى موضوع آخر... لا يجرح بكلماته وكيف كان ينظر إليها خصوصًا عندما تبتسم أو يرتفع صوت ضحكتها قليلًا... على بعض كلماته... وهنا راحت تضحك بفرح شديد.

تركوه ليذهب إلى مكان استراحته...كانت كلمة هيفاء.... دبلوماسي... كمثل الجرس الذي يرن بدون توقف، تتردد الكلمة كثيرًا على مسامع ذاكرته.... فيتوقف كي يسمعها مرات ومرات، جمال هادئ، ثقافة عالية، متفتحه، مَن مثلها؟

ثم يعود إلى نفسه معاتبًا كيف من جلسة واحدة حكم أنها وأنها، هل هذا صحيح؟... يتراجع ولما لا؟!! إنها ابنة عمي أحمد فلا بد وحتمًا أن تكون كذلك ولكن... كيف أسمح لنفسي أن أخون... أدخلوني بيتهم ويعاملونني كأني فرد منهم... وأفكر في ابنتهم... لا... لا... هذه ليست أخلاقي ثم إنها مخطوبة لسليم وهو شاب لا يعاب أما من ناحية أسلوب هيفاء... فهذه على ما يظهر طبيعتها النظيفة النقية، فكانت عادية معي... ليس أكثر.

وكذلك لازم أعرف أني في مجتمع ريفي، عادات وتقاليد، وقد رأيت هذا في تضايق أبو سليم عندما رآني ببيت أخيه، رغم معرفته بخالي جيدًا على ما يظهر، ولكن رغم كل هذا... صراحة لم أمنع نفسي من السؤال عنها.

وحسن هو الطريق الوحيد إلى ذلك، لأنه لدي إحساس أن سليم وهيفاء لا يتفقان، لأن جمالها وثقافتها مخيفان وسليم.... أرى أنه طيب... طيب.

بعد صلاة العشاء يأتي الأستاذ شاهين إلى المنزل ويبدآن في سرد القصص الطريفة خصوصًا التي حدثت من خاله أو معه وتعلو

الضحكات وفي بعضها تدمع العيون من شدة الضحك.

حمدان: لم أكن أظن أن خالي بتلك الروح المرحة وصراحة حتى الأستاذ شاهين لم أكن أتوقعه هكذا.

وتستمر جلستهم إلى وقت متأخر من الليل يتخللها العشاء وشاي، وتمضي اللحظات سريعة جدًا، وفجأة يقف الأستاذ شاهين قائلًا لحمدان وأنت يا أستاذنا الجديد، عاوزينك تثبت نفسك ومش هاوصيك الإلتزام في المواعيد والتركيز في الحصة مع الأطفال، والأمانة اللي في رقابنا.

حمدان: إن شاء الله يا حضرة المدير.

شاهين: اسمعني يا ولدي بيني وبينك وبين عمك حسن أنا عمك شاهين، لكن في الأماكن الرسمي أنا عمك المدير.

حمدان: حاضر.... يا عمي المدير.

يضحكون بصوت عالي، ويخرج شاهين ويذهب حمدان لغرفته.

صباحًا يخرج حسن مبتسمًا كعادته.

حسن: صباح الخير يا أستاذ.

حمدان: صباح الخير يا أبو علي نمت تمام؟

حسن: الحمد لله.

"لا مجال للحديث معه الآن، كيف أفاتحه، ولحظات الصبح هذه، نحن الكبار لا نريد الحديث فيها بشيء.. خليها عند العودة من المدرسة.

يقضي يومه قلقًا، هل هي مقابلة مع مسئول كبير ولكن يجب أن يكون الأمر ليس بالتصريح، حتى لا يفهم حسن ما سيسأل عنه، فالنقاش سيكون عاديًا وليس هناك ما يدعو للقلق وفي الطريق يبطئ حمدان في سيره... ليس كعادته.

حمدان: حسن!

حسن: نعم يا أستاذ.

حمدان: أنتم كام أخ وأخت؟

حسن: أنا وهيفاء.

حمدان: أنت أكبر من هيفاء بكام سنة تقريبًا؟

حسن: يضحك حسن ضحكًا شديدًا، ويقول تقريبًا عشر سنين.

حمدان: ومتفاهمين أنت وهي؟

حسن: أحن واحدة عليا في الدنيا كلها.

حمدان: للدرجة دي.

حسن: وأكثر.

حمدان: طب ولما تتجوز... هتعمل إيه؟

حسن: مش باين.

حمدان: يخبئ فرحته البادية على وجهة ليه يا حسن؟

حسن: لأنها مش بتطيق سليم.

حمدان: "فرحًا" ربنا يهدي النفوس، وبعدين يا حسن.

حسن: صراحة... هي حالفة ما تتجوز سليم لو كان آخر راجل في الدنيا، لو هاتعيش طول عمرها... ولو تكلم معاها أبويا أو أمي تدخل غرفتها وتقفل الباب عليها وتبكي مع نفسها... مش مرة ولا اتنين... على طول.

حمدان: لكن متهيألي عمك مش سهل؟

حسن: وهيعمل إيه؟

حمدان: مش عارف، لكن الموضوع مش هايعدي بالسهولة دي.

حسن: والله الظاهر كدة يا أستاذ... الكل بيقول كدة.

.....

يدخل حمدان لمكان نومه وقد بدأ أمل جديد يسير مسرعًا إلى قلبه

وعقله، قاسية تلك الحياة... في أحيان كثيرة كان عمي أقسى ما فيها، الحمد لله أني خرجت بعقلي من هذا الموضوع، وها هو أمل جديد يلوح في الأفق، ولكن هل سأنسى؟... لا بد من النسيان، ولكن كيف؟

لا توجد طريقة إلا هيفاء، وهي رافضة لسليم وهذا ليس ذنبي ولكن ماذا عنها ؟ هل سأدخل قلبها؟

سأبدأ معها طالما أنوي الحلال... ولكن من سيضمن؟ أنها خالية القلب.

المجتمع قروي ولو أن لها أدنى علاقة مع أي أحد لسمع بها الجميع، وعقدة الموضوع في عمها... والذي أخبرني من قبل أن زواجهم نهاية العام.

- لن توافق هيفاء على حد علمي.

- سيزوجها عمها غصبًا عنها.

- ليس من السهل ذلك.

- نصبر ونرى كيف سينتهي الموضوع.

والخوف كل الخوف من العادات والتقاليد.

.....

ينظر إلى ابنه والشرر يتطاير من عينيه، عمك إلى الآن لم يجد مكان للأستاذ... اللي طالع لنا في البخت جديد.

سليم: سيسكنه في بيته القريب من المدرسة أو يمكن الأستاذ شاهين يأخذه إلى بيته... وهو أيضًا قريب من المدرسة.

أبوه: لا تقول يمكن فأنا أكره هذه الكلمة.... من يوم ما سكن أستاذكم اللي طالعين بيه السما... كم مرة زرتهم؟

سليم: المرة اللي رحنا مع بعض نسلم عليه.

أبوة: رحت تاني؟

سليم: صامتًا في حياء من أبيه.

أبوه: حسبي الله ونعم الوكيل، حسبي الله ونعم الوكيل... اسمعني يا ولدي، أنت طبعًا عارف إن البنت مش موافقة عليك.

يصمت محرجًا.

أبوه: لأنك مش زي الشباب اللي يتحب، وأنا عارف إن معاها حق (يصمت لحظة وينظر إلى ابنه) ومع حظك النحس جه واحد من أعز أصدقاء عمك... وأنت عارف أنه كان بيعتبرهم هو وشاهين زيي أنا... أخوه... ابن أمه وأبوه.

أبوه: عارف إيه معنى ده؟

سليم: لأ... إيه معناه؟

أبوه: وبتسألني، عارفك غبي وغباوتك زادت وغطت، والله معها حق تتعقد لما تشوفك، وأنا لو عليك أنت مش مشكلة، لكن أنا على نصيب هيفاء في تركة عمك، اللي ممكن أي واحد غريب يتجوزها طبعًا يبقى نصيبه... وأنت بأي شكل من الأشكال لازم تتجوزها.

سليم: اللي تشوفه يا والدي.

أبوه: طبعًا اللي أشوفه.... ولا فيه معاك كلام غير كدة؟

سليم: اللي تؤمر بيه يتنفذ، وبدون كلمة واحدة.

أبوه: اسمعني.

سليم: نعم.

أبوه: طبعًا أنا ذاهب لعمل العمرة، في خلال الفترة دي عاوزك ما تقطع رجلك من بيت عمك وتخلي الجو فاضي للأستاذ... فاهم ولا أفهمك؟

سليم: فاهم طبعًا... وربنا يجيبك لينا سالم وعلى يدك يكون الخير ويخلص الموضوع.

□□□

أبوه: هيخلص، هيخلص، بس تفتح عقلك معاي.

سليم: أنت عارف إني من يدك دي ليدك دي.

أبوه: خلاص لما أرجع من العمرة هاخلص الموضوع عشان ميتأخرش زيادة عن كده.

.....

بدأ حمدان يتضايق من وجوده في بيت أبو حسن، خصوصًا بعد تلميحات أبو سليم في كلماته ونظراته ... واحنا في أرياف ليس في مدينة والبيت اللي أنا فيه موجودة بيه واحدة جميلة،جميلة جدًا ومتعقدة من ابن عمها، وعمها كله شر، شر حقيقي.

راح يلملم أغراضه ويضعها في حقيبته.

دخل عليه أبو حسن.

نظر متعجبًا وسأله: إيه يا أستاذ هتسيب البلد ولا إيه؟

حمدان: "مصمما" ياعمي، عاوز أشوف مكان قريب من المدرسة.

أبو حسن: ياولدي البلد صغيرة وأنت وحسن عشر دقايق مشي بتكونوا في المدرسة.

حمدان: لكن أكيد فيه أماكن أقرب من كدة.

أبو حسن: وأنت اللي هتجمع المكان ده؟

حمدان: يعني ... هاسأل ...

أبو حسن: يبقى يا ابني أنت ما تعرف عاداتنا... سؤالك لأي حد عن سكن وأنت ضيفي عيب كبير، الناس تاكل وشي يا أستاذ، مافيش داعي تحرجنا في البلد... خلاص يا أستاذ؟

حمدان: إن شاء الله يا عمي.

أبو حسن: وعلى العموم حاجات كتير تمنع إن أنت تسكن خارج بيتي، أهمها إن خالك أخويا، يعني أنت ابن أختي.

حمدان: لكن يا عمي.

أبو حسن: لو سمحت سيبني أكمل.

حمدان: اتفضل.

أبو حسن: في البيت أنت واحد مننا... صحيح؟

حمدان: صحيح.

أبو حسن: لكن طالما أنت مصمم أنك تترك البيت، فالبيت ذو اللون الأزرق اللي أمام مبنى المدرسة، يبقى بيتي.

يتهلل وجه حمدان... الله يزيدك يا عمي ويبارك فيك ولك.

أبو حسن: وفي خلال هذا الأسبوع إن شاء الله أجهزه لك.

حمدان مستبشرًا: إن شاء الله.

.....

وعلى نهاية الأسبوع انتقل حمدان إلى سكنه الجديد، وفي أول ليلة له هناك، رأى احتفالًا في بيت أبو سليم وذلك لذهابه إلى الأراضي المقدسة لأداء مناسك العمرة، ورغم زياراته المتكررة لبيت الله الحرام إلا أنه لم يتغير، أسود القلب، سليط اللسان، خبيث،... الفرق شاسع بينهما.. فأخلاق أبو حسن يحلف بها الجميع.

يدور أبو سليم على الأهل والجيران والأصدقاء مودعًا إياهم... داعين الله له أن يعود سالمًا وفجأه... لمح بيت أخيه مضاء، ذهب ليرى ما يحدث.

وجد أخاه وحسن وشاهين ومعهم حمدان يبتسم أبو سليم ابتسامته الصفراء.

أبو سليم: الأستاذ هايسكن هنا ولا إيه؟

أبو حسن: والله كنت عاوزه معاي هناك... لكن هاعمل إيه... هو مصر تمامًا على أن يبقى قريب من المدرسة.

أبو سليم: الأستاذ راجل بيفهم، لأن برضه البيت فيه بنت شابة.

أبو حسن: يقاطعه بحدة: دا راجل متربي، متربي على الآخر، ويا أخي اللي أنت بتتكلم عليها، بنت أخوك.

أبو سليم: لأنها بنت أخوي أنا اتكلمت، هي زي بنتي وأكتر وهتبقى زوجة ابني، أما عشان يبقى في البيت شاب غريب وأول مرة نشوفه.

حمدان: يا عمي لو عاوزني أمشي نهائي من البلد، والله أقدم طلب نقلي.

أبو سليم: يقاطعه: لا... لا.. وأنت قاعد فوق راسي، أنت مكانك ووصلت ليه.

يهز رأسه بطريقة توضح مدى خبثه الدفين.

يبتسم الأستاذ شاهين متعجبًا... تروح وترجع بالسلامة يا أبو سليم يا أبو الحجاج.

أبو سليم بخبث: كلمة أبو الحجاج غريبة شوية.

شاهين: واحنا نقدر يا أبو سليم.

أبو سليم: ما هو الزمن اتقلب وأي حد يقدر.

شاهين: الدنيا مش مظاهر... والقلوب لازم تصفى عشان ربنا يتقبل.

يهم أبو سليم مسرعًا بالخروج، فيمسك به الأستاذ شاهين... أنت زعلت ولا إيه؟

أبو سليم: بخبث واضح... لا أحد يزعل منك... وإلا يبقى مجنون.

شاهين: يبتسم... الحمد لله.

ويعانقونه داعين له بسلامة العودة.

أحس حمدان ببعض الندم الذي لام عليه نفسه إذ كيف يطاوعه عقله أن يفكر في هيفاء؟... وكيف سمح لنفسه وهي مخطوبة، ومهما كان رأيها في خطيبها؟

كان يحاول إبعاد عقله عن التفكير لكنه لا يستطيع، يلهي نفسه بالقراءة ويشغل باله بالتحضير... لا فائدة، بدأت تدخل عقله إن لم تكن ملكته، ومن ناحية أخرى كان إحساسها قويًّا بنظرات حمدان منذ البداية... بدأت تستدرج حسن في الحديث هل يسأل عنها حمدان؟.. وهل.. وهل؟

وكذلك كان يفعل حمدان، وكان حسن ينقل بأمانة ما يحدث معه من حمدان إلى هيفاء، ومن هيفاء إلى حمدان، كانت تنتظر جلساته مع أبيها، وضحت الصورة لأبيها وأمها وعرفا لماذا زادت معاملتها السيئة لسليم في الفترة الأخيرة، وجلسا وحاولا إيجاد حل، لكن الأمر صعب فعم هيفاء كالسرطان، ليس له دواء ولكن لا بد من حل....

جميعًا دعاهم الأستاذ شاهين على العشاء، فرحت هيفاء، وكذلك حمدان بهذه الدعوة المفاجئة...

تجمعوا بمدخل المنزل، وكان سليم يراقب الداخلين بقلق شديد.

لاحظ الأستاذ شاهين ما يحدث بين هيفاء وحمدان... لا يشعران أن أحدًا يراهما، أو حتى يلاحظ ما يحدث بينهما.

وكذلك لاحظ وجود سليم بالقرب من المنزل، أقلقه هذا لكن ماذا يفعل وهو يرى الأمور تزداد تعقيدًا... إذ كلما زاد تقارب هيفاء وحمدان، زادت المشاكل مع سليم... وأبيه.

اتجه إلى صديقه متسائلًا:

شاهين: وآخر اللي بيحصل ده إيه؟

أبو حسن: والله مش عارف يا صاحبي؟

شاهين: لازم تعرف.. لازم... الأمور كل مالها وتتطور.

أبو حسن: يبقى فكر معايا لأني فعلًا مش عارف.

شاهين: ندخل في الموضوع مباشرة، طبعًا كدة الأمور وضحت وأنت شايف اللي أنا شايفه.

أبو حسن: شايف.

شاهين: وأنت عارف إن هيفاء دماغها ناشف.

أبو حسن: عارف.

شاهين: زي أبوها.

يضحكان... اسمعني يا شاهين، دي بنتي الوحيدة وأنت عارف غلاوتها كد إيه.

شاهين: عارف والله يا أخي... عارف.

أبو حسن: وقف عقلي من التفكير في حل.

شاهين: والله رأيي... تسايس أخوك لما يرجع بالسلامة.

أبو حسن: يقاطعه... وأنت عارف أنه هيتفاهم في الموضوع ده؟

شاهين: لازم تحاول، مفيش حل تاني.

أحس أبو حسن بالعجز الفظيع، فما الذي يجعله لا يستطيع أن يزوج ابنته لمن يريد أو تريد... والله الدنيا مليانه عجائب، ربنا يهديكي يا هيفاء، والله يا بنتي مش قادر أعمل حاجة... ملعون أبو العادات السيئة... ملعون...

بدأت إحدى الشابات والتي لا تطيق هيفاء وذلك لأنها كانت ترى فيها إحدى عدواتها والمنافسة الوحيدة لها، بدأت تتحدث إلى صديقاتها

عن هيفاء، وكيف أن المدرس الغريب يقيم بمنزلهم؟ وكيف لا تعير ابن عمها أدنى اهتمام؟ هكذا بدأت نجاة لتزيد الطين بله، وكيف لو سمع سليم وأبوه... ستكون فرصة لتعجيل الزواج وليمنع القيل والقال... عن ابنة أخيه.

صارت تسرد وتؤلف كل ما يخطر ببالها عن هيفاء، وهيفاء لا تعرف أن نجاة... أعز صديقاتها.. تتحدث عنها.

تحدثت بعض النسوة إلى أم حسن، أعز صديقاتها هي التي تجرأت وأخبرتها بما يدور وسط العجائز والشابات، حتى أصبحت هيفاء المؤدبة حديث بعض الشباب والذين كانت لا تنظر إليهم ولا تعيرهم أي اهتمام بدأت ألسنتهم تطالها...

ولكن الكثير منهم راحوا يدافعون عنها فالجميع يعرف من هي هيفاء.... ومن هو الحاج أحمد ومن هي أم حسن... علمت أمها ما يقال فاشتعلت النار بصدرها وعقلها.

أمسكت زوجها وحكت له ما سمعت، ولم يشأ أن يسمع أحدًا آخر، ولكن الخبر انتشر كما النار في الهشيم ولن يستطيع أن يوقفه أحد.

تساءل أبو حسن: مع نفسه، من المستفيد، متحسرًا... أخي هو المستفيد من هذا الموضوع... لكنه في الأراضي المقدسة الآن.... لكن ربما

رتب هذه الأمور قبل ذهابه.

- لا... لا... لا أعتقد أن يفعل هذا..

- إذن من الذي يجرؤ على فعل هذا إلا إنسان مغلول ولكن من هو؟ من؟

تدمع عيناه على ابنته وعلى نفسه وهل كان هو سببًا فيما يحدث بطريقة أو بأخرى؟

.....

جاء الأستاذ شاهين إلى صديقه، لقد سمع أيضًا ما يقال عن هيفاء التي هي بمثابة ابنته إن لم تكن أغلى، الغيظ شل عقله، جلس كاظمًا غيظه وقال: ماذا ستفعل؟

أبو حسن: لن تتزوج سليم.

شاهين: ستشعلها حربًا، قلت لك سايسه.... ولن تتزوجه..

أبو حسن: كيف؟ صارخًا بيأس، لن يترك الأمر يمر بسهولة...

شاهين: أعلم.

أبو حسن: إذن السياسة لن تجدي نفعًا.

شاهين: حاول.... أرجوك يا صديقي حاول، عشان هيفاء..... ويتفقان أنه عند عودته من العمرة يفاتحه على أن الزواج قسمة ونصيب وأن الشرع والدين يفرضان موافقة البنت وأنت إنسان عارف ربنا كويس وزرت بيته الحرام مرات عديدة وأنا وضعت الموضوع قدامك وأنت عارف إن هيفاء مش موافقة.

وسليم عارف فهي لا تجلس معه وإن جلست لا تتحدث إليه وإن تحدثت لا يكون الكلام لائقًا بخطيبين أو أبناء عمومه.

– أعلم أنه بعد هذا الكلام قد يحدث مصيبة، لكن ربنا قادر على كل شيء... وهنا يشعر الأستاذ شاهين ببعض الرضا من هذا التصرف...

.....

عاد أبو سليم من العمرة محملًا بالهدايا للجميع... النور يرتسم على وجهه، أتاه الأقارب والجيران والأصدقاء مهنئين... استراح قليلًا... وبعد أن خف الزحام بالمنزل، أمسك بيد ولده ودخلا معًا... سأله عن حمدان؟

سليم: لازم ييجي ويسلم عليك.

أبوه: أنا عارف إنه جاي.... لكن احكي لي عن اللي حصل في غيابي.

سليم: وإيه يعني اللي ممكن يحصل؟

أبوه: يعني... مش عارف؟

فجأة يسمعان صوت حمدان، يخرج سليم مسرعًا ويسلم عليه.

حمدان: وين الحاج؟

أبو سليم متهللًا: أيوه يا أستاذ.

حمدان: الحمد لله على السلامة.

أبو سليم: الله يسلمك.

حمدان: عمرة مقبولة إن شاء الله.

أبو سليم: الله يبارك فيك، أخبار الشغل معاك إيه؟

حمدان: الحمد لله، ماشي الحال.

أبو سليم: يعني بلدنا عجبتك؟

حمدان: صراحة والله ما شفت أحسن منها.

أبو سليم: أحسن منها... مين هي دي يا ترى؟

حمدان: بلدكم يا أبو سليم.

أبو سليم: ده كرم من ربنا نشكره عليه.

حمدان: خلاص... أنا هاسيبك تستريح، وإن شاء الله لينا قعده مع

بعض تحكي لنا عن العمرة... سلام..

أبو سليم: آدينا قاعدين... خليك شوية...

حمدان: شكرًا يا أبو سليم.. عشان معاي تحضير دروس وزي ما أنت عارف.

أبو سليم: يقاطعه... خلاص خد راحتك..

.....

عمي ما أقساه، يدعي التدين أمام الجميع، وقد أطلق للحيته العنان، يجلس، يتفلسف على من حوله ويحترم البعض لحيته... حرم الدنيا كلها.

لا يعترف بأحد، ينتقد الجميع، الصوفية، الإخوان، الجماعات... يقول أن المسلم لازم يقرأ كل شيء عن الدين ولا يكون له اتجاه واحد بل لا بد أن يتعمق كثيرًا في الدين في كل مجالاته، قبض عليه أكثر من مره، ودائمًا يخرج لأنه ليس له نشاط.. وكذلك أفكاره ليست بالهدامة أو الداعية إلى الإرهاب.

أقسى يوم كان يوم أن ذهبت إليه متوقعًا أن يبارك زواجي من ابنته لكنه صدمني وليتني ما ذهبت إليه...

العم: يا أستاذ، بنت عمك في ثانوية عامة وأنت عارف إني جهزت

عيادتها من قبل سنة.

حمدان: ابتسمت، يا عمي أنت عارف مستواها... أقصد لو نجحت بأي مجموع، يبقى الحمد لله.

يقاطعني بحدة... وأنت مؤهلك إيه وإيه وظيفتك؟

حمدان: «حاولت امتصاص غضبه» مدرس تاريخ.

عمه: وإيه المستقبل بتاعك يعني؟

حمدان: بيد الله، وأنت اللي علمتني كدة من زمان.

عمه: عارف... لكن أخطب لبنتك ولا تخطب لابنك.

حمدان: يا عمي... دا أنا ابن أخوك.

عمه: المواضيع دي ما تعرف مجاملة.

حمدان: لكن أنت عارف إن احنا عاوزين بعض... أنت عارف.

عمه: مش عارف.

حمدان: يبقى تشوف رأيها إن كانت موافقة أم لا.

عمه: بنتي وأنا عارفها حسب ما بخطط لها بتمشي.

حمدان: مش في كل حاجة.

عمه: «مصممًا» في كل حاجة.

حمدان: أرجوك يا عمي شوف رأيها.

عمه: لا تحاول.... لا تحاول، وده آخر كلام عندي.

.....

خرجت مسرعًا إلى المنزل، أبي يعرفه جيدًا، حذرني من مقابلته وأخبرني أن البنات على قفا من يشيل، إلا أني أصررت على زواجي منها، غضب جدًا مني وقامت الدنيا ولم تقعد، إذ كيف لا أسمع كلامه وأعانده في شيء يعرف نهايته، رجوته أن يذهب إلى عمي ويحاول إقناعه... لم يقتنع، وأصر على موقفه.

أغلقت غرفتي عليا، كيف يفكر عمي؟ لن تدخل الطب وهو واثق من ذلك؟ نحب بعضنا منذ زمن بعيد...، أمها وإخوانها كلهم موافقين وكذلك أمي وإخواني؟ إذن لماذا؟؟ الأسئلة كثيرة... لا إجابة... لما رآني أبي على هذه الصورة، تراجع في قراره خصوصًا بعد ترجي أمي وإخواني له... ذهب إلى أخيه وحدث أكثر مما حدث معي... أنا أكتب الشعر الغزلي وأقرأ لعدد من كفرة الفلاسفة والشعراء ومعلوماتي الدينية لا ترقى إلى المستوى وكذلك حالتنا المادية.

.....

رقيقة كالنسيم في الربيع، كالمطر في الحر والغبار، كنت أذاكر لها، خصوصًا اللغة العربية، فقد جمعت لها منهج كل عام كانت تذهب إليه في كشكول واحد، نجلس نحكي في كل شيء، وفي أي شيء إلا شيء يمنعني ويمنعها منه الحياء فكم مرة حاولت قول كلمة أحبك... لم أستطع... ولكن كانت تراها في كل لحظة في كل نظرة أو كلمة غير صريحة.

حتى عندما أنهيت دراستي، ونويت قبل الحديث إلى عمي أن أعرف شعورها... كتبت لها ورقة صغيرة في كشكول اللغة العربية، الذي كنت أذاكر لها فيه... لو تقدمت إليك هل تقبلين الزواج بي؟

ورغم علمي بحبها لي وعلمها بحبي لها إلا أني كنت أخشى ألا توافق، أعطتني ورقة وقالت «موافقة».

أجمل كلمة قرأتها في كل سنين دراستي وزال بعدها حاجز الصمت، الذي كان بيننا، وبدأنا التحدث عن الشقة والتعيين والأولاد، أجلس فأشعر أن الدنيا كلها تجلس بجانبي، أقنعتها أن نتزوج بعد أن تحصل على شهادتها الثانوية وتكمل بعد الزواج... ولها مطلق الحرية، لكنها تعرف مستواها، لا تنوي أن تكمل تعليمها... وجاء عمي وقلب كل الموازين.

وبعد أن أيقنت تمامًا أن موضوع ابنة عمي لن يتم وانتقلت إلى هنا، وعشت هذه الأيام، ورأيت هيفاء ورأيت أخلاقها وأفعالها وجمالها...

بدأت أنسى هذا الجرح.... لامني أعز أصدقائي أني لم أتمسك بحبي فسألته كيف أتمسك بحبي، هل أكتب عليها دون موافقة أبيها.

صديقه: نعم وما المانع.... ابنة عمك..

حمدان: عشان هي ابنة عمي لا أرضى لها أو لأبيها هذا.

صديقه: خلاص اتعذب براحتك.

كنت أتركه وأهرب لأني حقًا عاجز لا أستطيع فعل شيء... ولن أفعل ما يقولونه، فهي أغلى عندي من أن يقال تزوجت غصبًا عن أبيها.

والآن أقابل هيفاء، لم أكن أنوي أن تعرف عن هذا شيئًا إلا أنني كنت أجد نفسي لا شعوريًا أحكي لها ما تريد.

شرحت لها كل ما حدث من عمي، صرت حقًا أكرهه، كنت أقابله في المسجد فلا أسلم عليه وعنادًا أسلم على من هم بجانبه حتي لو أني لا أطيقهم..

لم تتغير بمعرفة قصتي بل بدأت تتقرب مني وأنا كذلك صرت أتقرب إليها في كل نظرة أو كلمة أو تصرف.

الخوف كل الخوف من هذا الماكر... كل جلسة أرى فيها أنيابه الزرقاء ذات السم القاتل، كله يثير القلق في نفسي، نظراته وحديثه.

□□□

ماذا يتوقع وماذا يريد؟ زواج ابنه من هيفاء، وهي رافضة، وطالما أنه لا يهمه سوى المال سيفعل كل ما يستطيع فعله... لا تهمه صلة الرحم أو غيرها... لا يهمه شيء ولن يهمه أحد.

أبو حسن أخوه ويخشى أخلاقه السيئة، ابنه الذي من صلبه يخاف جبروته وظلمه حتى أصبح بلا شخصية وهذا ما جنى عليه أمام أصدقائه.... والأهم هيفاء فهي رأت في سليم شخصًا بلا شخصية بلا قرار... وبلا... وبلا... لم يصدر منه تصرف ولو واحد يشجعها على أن تتوقع أنه قد يتغير فهو يتحرك بالريموت كنترول فلو أراد أن يذهب إلى بيت عمه... ورغم أن هذا محبب إلى قلبه إلا أنه لا بد أن يستأذن، لا يجادله ولا يراجعه في قرار اتخذه ولو خطأ...

كل شيء في حياته يوجهه إليه والده... هكذا حكت لي هيفاء عن سليم مسكينة أيتها الهيفاء كيف ستواجهين هذا؟.. ومتى ينتهي هذا الكابوس... ووجودك في المنزل بلا عمل أعطى الفرصة لهم للتكرار والتكرار... مسكينة أيتها الهيفاء.

.....

يعني الكلام اتقال على هيفاء؟

سليم: نعم يا أبي.

أبوه: شوف... أنا عارف بنت أخويا كويس لأني أنا مربيها، لكن هذه فرصتنا.

سليم: كيف؟

أبوه: هتفهم بعدين.. لكن في حاجات هاقولك عليها، لازم تنفذها.

سليم: أنت تؤمر يا والدي.

أبوه: طبعًا، مهو كله لصالحك... أول شيء تبقى ظل حمدان لا تفارقه.

سليم: وبعدين؟

أبوه: تتقرب من هيفاء، تغير من طريقتك وأسلوبك... طور نفسك.

سليم: أحسن من كدة؟

أبوه: يا ولدي والله أنا عاذرها، لكن أعمل إيه مضطر أعمل كدة عشان خاطرك.

سليم: خلاص يا والدي... اللي تشوفه.

أبوه: وبعدين هي بتقولك عديم شخصية أنا عاوزك قدامها تناقش وتجادل معاي على الفاضي والمليان.

سليم: لكن؟

أبوه: يقاطعه... مالك شغل.. مش هازعل... بس تنفذ.

سليم: حاضر يا والدي.

أبوه: والله يا ولدي الناس يظنون أني السبب أنك كدة ولكن، أنت ربنا خلقك كدة ولولا مساعدتي لك لصرت أعبط خلق الله.

سليم: بتكلمني يا والدي؟

أبوه: لا يا ولدي بكلم نفسي.. بنبرة حادة.. تعمل اللي قلت لك عليه. وعاوزين أهم شيء نستغل الكلام اللي اتقال على هيفاء أحسن استغلال.

سليم: أكيد يا والدي... إن شاء الله وهيجيب نتيجة.

.....

أولم أبو حسن لأخية في لمّة عائلية جميلة ضحكوا كثيرًا، فرحوا كثيرًا.... وأثناء جلستهم، توجه إلى أخيه سائلًا:

أبو سليم: إيه حصل في موضوع هيفاء وسليم؟

أبو حسن: كل خير يا أبو سليم.

ينتظر أبو سليم مراقبًا وجه حمدان ويرى ما قد يعتريه من تغيرات أثناء حديثهم عن هيفاء... وحمدان لا يستطيع كتمان مشاعره، فقد ذهب وجهه إلى كل لون.

أبو سليم: اسمعني يا أخويا، عاوز أسألك وتجاوبني إجابة محددة ليه أنت موقف الموضوع؟ وأنت عارف إن كل المواضيع دي لما تطول، الكلام بيزيد، وأظن أنت سمعت اللي بيتقال على بنت أخويا؟

أبو حسن: اللي هي بنتي؟

أبو سليم: وبنتي أنا كمان، عشان كدة الجواز لازم يتم في أسرع وقت.

تخرج هيفاء مسرعة، أدهشت الجميع.

هيفاء: يا عمي سليم أي بنت تتمناه لكن أنا وهو مش هنتفق.

أبو سليم: تتفقوا بعد الزواج.

هيفاء: أنت عارف كل حاجة يا عمي.

أبو سليم: ماتقوليش يا عمي.

هيفاء: تصمت.

أبو سليم: يهادنها، يا بنت اخوي أنت عارفة الناس بتتكلم.

هيفاء:صارخة، أقطع لسان أي حد يتكلم.

أبو سليم: الناس هتتكلم، مش هتخاف منك، ولو متكلموش في وجهك، هيبتسموا لك وينحلوا في وبرك، صدقيني يا بنتي، الناس ما هيخلوكي في حالك طالما ابتدوا الكلام ده.

هيفاء: ميهمنيش.

أبو سليم: لكن أنا يهمني، ويهم أبوك.

هيفاء: وأنا قلت اللي عندي. تدمع وتدخل مسرعة إلى غرفتها.

أبو حسن: يا أبو سليم خلي موضوعنا ده شوية قدام.

أبو سليم: إلى امتى يا أبو حسن... لما الناس تقول إيه تاني؟

أبو حسن: «يصمت» متكبرهاش سنة زيادة عن حدها...

أبو سليم: على العموم الموضوع عندك ولازم يخلص.

أبو حسن: لازم ازاي... أدبحها يعني.

أبو سليم: مش مشكلتي، ومش هاكلمك تاني، فاهمني؟

.....

شفت وجه حمدان بقى ازاي لما اتكلمنا في موضوع جوازك، وشفت هي عملت إيه عشان عارفة إن الأستاذ موجود.

سليم: اسمعني يا والدي.. الجوازة دي شكلها عكت، وأنا مش عاوز وجع دماغ.

أبوه: وأنت أصلًا دماغك بتشتغل عشان يتوجع... والله لما بتكلم

معاك بأكره الكلام، فعشان خاطر ربنا مش عاوز أسمع صوتك، تسمع وتنفذ وبس، فاهم ولا أفهمك.

سليم: فاهم فاهم.

أبوه: وسواء أنت عاوزها أو مش عاوزها هتتجوزها غصب عنك وعن أبوك.

سليم: اللي تشوفه يا والدي.

أبوه: وعملت إيه بالنسبة لحمدان؟

سليم: في إيه يعني؟

أبوه: علاقتك معاه، قوية ولا شكلها ازاي؟

سليم: يا والدي الحين أنا أعز صديق لحمدان... زي أخوه تمام.

أبوه: واثق من كلامك.

سليم: طبعًا واثق.

أبوه: وفي حاجة تانية.

سليم: هي إيه؟

أبوه: عمك وسي شاهين ناويين، ناويين على حمدان... فاهم؟

سليم: ماأظنش!

أبوه: أنت بغل لا تفهم شيء فلا تتكلم .. يصمت سليم وقد اعتراه حزن عميق.

.....

توطدت علاقة سليم مع حمدان وصارا لا يفترقان... زادت صداقتهما خصوصًا بعد ما زاد له من ماء زمزم، أيام تمر، وحالة حمدان الصحية في تدهور واضح، اصفرار في الوجه، كسل شديد في الحركة، في أحيان كثيرة رجلاه لا تحملانه... حتى أسلوبه بدأ يتغير مع من حوله، خصوصًا مع هيفاء بدأ يقسو عليها، بل لا يطيق النظر إلى وجهها... يرتمي على سريره باليوم واليومين.

لا يذهب إلى المدرسة وإن ذهب لا ينطق بكلمة لزملائه ولا حتى للطلبة.

أتى إليه أبو حسن والأستاذ شاهين وحسن وهيفاء وأمها لم يشعر بهم حمدان... حتى وصلوا إلى غرفته... ذهلوا جميعًا... فقد بدا شكله مخيفًا، أمسك بيد شاهين وخرجا إلى الصالون... قبل كل شيء نذهب به إلى الدكتور، حملاه، وخرجوا جميعًا معه، رآه الدكتور، تعجب أيضًا من حالته، وشخصها لهم بأنها «زقوة» من السحر وضعت له ببعض

النجاسات وشربها أكيد دون علمه.

وهذه ليس لها علاج... خذوه فهي كما يسميها السحرة زقوة الموت... لا علاج له عندي ولا في أي مكان، صدقوني... هذه نهايته.. حملوه وفي يأس واضح على الوجوه وفي القلوب، ذهبوا إلى المنزل وهم يحملون ميتًا لا حياة فيه ولا أمل..

راحت الساعات ثقيلة على القلوب، تقتلهم معه... عرض شاهين على أبو حسن الاتصال بخاله أو أهله.

أبو حسن: سيعرفون أنه مسحور.

شاهين: إذًا ما الحل الثاني؟

أبو حسن: شاردًا... وأن أحدًا منا قد سحر له لأنه قد حدث منه ما يوجب ذلك في هذا المجتمع الريفي.

شاهين: نكلم صديقنا ونحاول تفهيمه.

أبو حسن: ممكن الدكتور لم يعرف كيف يشخص حالته.

شاهين: حالته واضحة... وفيه حالات كثير إحنا شفناها صح وأنت عارف الحاج حسين مات بنفس الطريقة عندما شعرت زوجته أنه سيتزوج عليها، بعدها لم يكمل الشهرين في دنيتنا... وراح...

□□□

أبو حسن: يقاطعه... عارف والله العظيم عارف.

تدخل هيفاء والتي تشعر أنها السبب فيما حدث لحمدان تشك في أن عمها، أكيد أكيد من فعل ذلك بحمدان سوا « زقوه » كما يقولون أو سم بطيء أو أي شيء آخر.

وعرضت على أبيها ذلك فحذرها أن هذا الكلام لا دليل عليه.. يتحسر في نفسه لأنه أيضًا يشك في ذلك فزوجته صرحت له أن أبو سليم هو من فعلها، ويرى ذلك أيضًا في نظرات صديقه شاهين.

ماذا يفعل وقد أحس بالعجز الشديد؟

عقله توقف ورجلاه لا تحملانه أيضًا ذهبوا به إلى طبيب آخر... لا فائدة.

.....

دخل حسن مذعورًا على الجميع وهم عند الأستاذ حمدان يصرخ ويقول، فعلها عمي يا أبي فعلها...

أبو حسن: ماذا تقول يا حسن؟

حسن: قتلوا الأستاذ حمدان... قتلوه..

أبو حسن: كيف يا حسن؟؟

حسن: كانوا يسقونه ماء... أخبروه أنه ماء زمزم وهو ماء مسحور.

أبو حسن: ماء زمزم يبطل السحر.

حسن: خدعوه وقالوا إنه ماء زمزم سمعتهما يضحكان ويقولان... هم وانزاح من طريقنا خلاص.

أبو حسن: هذا معناه أن ماء زمزم الموجود عند حسن ماء زمزم.

حسن: نعم ماء زمزم... لكن اللي شربه في بيتهم مش ماء زمزم... حسبي الله ونعم الوكيل، حسبي الله ونعم الوكيل، يخرج مسرعًا إلى الأستاذ شاهين... وعندما يصل إليه... صارخًا.

أبو حسن: الحقني يا شاهين قتلوا حمدان، قتلوا حمدان.

شاهين: مين يا أبو حسن، مين؟

أبو حسن: سليم وأبوه.

شاهين: كيف؟

أبو حسن: سحروا له... سمعهم حسن يعترفون.

شاهين: وأنت تصدق أن أبو سليم بعد ما رجع من الحجاز يعمل كدة؟

أبو حسن: سمعهم حسن... ومستحيل يكذب.

شاهين: يبقى نلحق الولد ونذهب لأهله عشان ما يموت عندنا.

أبو حسن: وأنت فاكرهم على كدة هايسيبونا؟

شاهين: نحاول وقلت لك قبل كدة نكلم خاله.

أبو حسن: خاله مش هايقدر يتكلم، دا هو هايبقى في عين أهله العدو. لأنه هو من أرسله إلينا، وسمعنا من حمدان إن أبيه وإخوانه لا يتفاهمون.

شاهين: الأمور تعقدت تمامًا والولد كل يوم في تأخر.

أبو حسن: ليس أمامنا إلا حل واحد... لكن مش مضمون.

شاهين: الحقني بيه.

أبو حسن: شيخ معروف جدًا على مستوى البلاد وأكيد أنت سمعت عنه لكنه ترك هذا المجال من زمان فلو أخذنا معنا صديقه الحاج راشد لن يتأخر... ويذهبا مسرعين إلى الحاج راشد ويقصا عليه القصة، فيتصل أمامهما بصديقه ويأخذ موعدًا ويذهبون في نفس اليوم.

بدأ الشيخ في علاجه رغم أنه توقف عن هذا العمل إلا أنه لأجل عين تكرم ألف عين.. فخاطر صديقه الحاج راشد أغلى عنده من أي شيء، أخبرهم أنه إن شاء الله سيتعافى، شيئًا فشيئًا، وألا يخبروا أحدا بهذا

وبالفعل بدأ حمدان يتعافى ويستعيد وعيه وشيئًا من صحته إلى أن تعافى تمامًا من حالته، وبدأ يعود إلى مدرسته وحياته الطبيعية... وسط ذهول سليم وأبيه وفرحة الجميع.

.....

وفي مساء أحد الأيام دخل أبو حسن والأستاذ شاهين على حمدان وبعد أن شربا قهوتهما... سأله أبو حسن:

أبو حسن: إيه رأيك في هيفاء يا حمدان؟

حمدان: يصمت... يبتسم محرجًا منهما.

أبو حسن: أنا أبوها وبسألك عن بنتي.

حمدان: لم أر مثلها في حياتي يا عمي.

أبو حسن: ونحن كذلك ما شفنا مثلك يا أستاذ حمدان، فرغم ما حدث لك لم نسمع أنك حاولت الاتصال بأهلك وإخبارهم بما حدث لك حتى بعدما شفاك الله... أنت راجل يا ولدي والمثل قال أخطب لبنتك ولا تخطب لابنك... أنا عاوز أجوزك بنتي.

حمدان: يفرح صارخًا.. واضعًا يديه على وجهه... أجمل خبر... الحمد لله الحمد لله.

إلا أن حمدان توقف فجأة عن الكلام، وناظرًا باستحياء إلى أبو حسن

حمدان: وسليم؟

أبو حسن: لا يناسبها.

فجأة وعلى نفس النغمة يرد أبو سليم: لا يناسبها... سليم لا يناسبها... الله، الله، الله طبختوها مع بعض وخالت علينا.

يقاطعه أبو حسن: خلينا أخوان أحسن.

أبو سليم: وأنت خليت فيها أخوان بعملتك دي.

أبو حسن: أنا احترمتك كتير وقدرتك أكثر، ودا حقك علي، لكن لما توصل للدرجة دي؟

أبو سليم صارخًا: أيوة، هاتضربني ولا هتتبرأ مني وتقول مش أخويا.

أبو حسن: مش هتوصل للدرجة دي..

أبو سليم: لا... لا.... خليها توصل.

أبو حسن: لكن أنا اللي طالبه منك أنك ما تزودها.

حمدان ينظر إليهما وهو في حيرة.

هل يتحدث إليهما، أم أنه يصمت ليرى ما تنجلي عليه الأمور...

ويفضل السكوت؟

أبو حسن: لو سمحت يا أستاذ حمدان، خلينا أنا وأبو سليم لحظة كدة.

ينصرف حمدان وهو يحمد الله أنها جاءت من أبو حسن، ولم ينصرف هو من تلقاء نفسه.

هنا يصرخ أبو حسن: ولما توصل للقتل يا أخويا يا كبير، يا أبويا، يا....

يقاطعه أبو سليم: وإيه اللي وصلها للقتل... يا أخويا.

أبو حسن: أنت عارف كل حاجة، ومش عاوز أفسر أكثر من كدة.

أبو سليم: لا فسر، لازم أعرف طبعًا، قصدك إيه؟

أبو حسن: تقتل ضيف غريب، عشان إيه مش عارف والله، ويا ريت ما يكون اللي في بالي؟

أبو سليم: أفهم حاجة حاجة، أنا كنت هقتل مين؟ فهمني.

أبو حسن: الأستاذ حمدان.

أبو سليم: مهو قدامك بالصلاة على النبي.

أبو حسن: أظن إحنا مش صغيرين، يا أخويا وفاهمين بعض كويس،

كويس خالص.

أبو سليم: صارخًا في استنكار... والله بلاوي بتتحدف، أنا أنا أقتل؟ ومين ضيف أخويا؟

أبو حسن: كل شيء واضح، زي نور الصبح.

أبو سليم: خلي بالك أنت بتتهمني بجريمة من غير دليل.

أبو حسن: موجود الدليل.

أبو سليم: هات.

أبو حسن: سمعكم حسن لما كنت بتتكلم أنت وسليم وبتقولوا، خلاص انزاح من طريقك وهتتجوز هيفاء والشيخ قال إنها « زقوة » بقصد الموت فخلينا أخوات أحسن.

وأنت عارف إيه حصل لو كان مات الأستاذ حمدان في بيت أخوك، تار بين بلدين، ما كان هينتهي.

أبو سليم: لا والله ما كانت هتوصل للدرجة دي.

أبو حسن: ازاي

أبو سليم: بس كان هيتجنن.

يصرخ أبو حسن: والله حرام، والله حرام.... عشان إيه كل ده؟ عشان إيه... هو إيه في الدنيا يستاهل أن الواحد يعمل كدة... ولا حاجة والله ولا حاجة.

يرق قلب أبو سليم لأخيه عندما يرى هكذا حاله على ضيفه... وهنا تدمع عيناه ويقول سامحوني كلكم، أعماني الطمع عن رؤية الحق، ويبدأ أبو سليم في بكاء النادم بحسرة على فعله، فيرق له قلب أخيه ويتعانقان، وهنا ينادي أبو سليم على الأستاذ حمدان.

يقبل الأستاذ حمدان مسرعًا.

فيقول له أبو سليم: ألف مبروك يا أستاذ حمدان على زواجك من بنت أخويا.

حمدان: زواج مرة واحدة؟

أبو سليم: وإيه المشكلة... أنت قدها وقدود.

أبو حسن: فرحًا تعالي يا هيفاء سلمي على عمك عشان يبارك لك على خطوبة الأستاذ حمدان، وهنا ترتفع الزغاريد.

***

منذ دخل حازم جهاز أمن الدولة تغير تماماً وتحول إلى إنسان مليء بالندالة الرخيصة مع كل أفراد عائلته وأهل قريته، حازم تسبب فى إحراجات كثيرة لوالده ولإخوانه فمعظم المعتقلين من بلدتهم والقرى التى حولها بسببه، تحول إلى بعبع للجميع، حتى أن بعض الأباء كانوا يمنعون أبناءهم من صلاة الفجر فى المسجد القريب من منزل حازم... والذى يجدونه جالساً على ديوان أمام المنزل ليرى من يصلى الفجر ويلتزم من الشباب... صار الجميع يكرهونه، ويكرهون أيام إجازته التى يقضيها فى البلدة.. ويحذرون منه من لا يعرف ندالته...

دار صرح حضارة
www.dar-sarh.com
Email: darsarh@gmail.com

ISBN978-977-6382-75-6
9789776382756